

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر
رمز المذكرة:

الموضوع:

المظاهر الاجتماعية والثقافية في رواية "أبيك حج الفقراء"
-لمالك بن نبي-

إشراف: د. بور فاطمة

إعداد الطالبتين: أوهيب إكرام
ولدقدور إبتسام

لجنة المناقشة		
رئيسا	عبد الحفيظ بورديم	أ.الدكتور
ممتحنا	عبد الرحيم مولاي البودخيلي	أ.الدكتور
مشرفا مقررا	بور فاطمة	الدكتورة

العام الجامعي: 1442-1443 هـ / 2020-2021 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤٣٨

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى أعز من في الوجود وأقربهم إلى قلبي:

أمي الغالية التي عمرتني بحبها وحنانها...

والذي العزيز الذي تحمل مشقة الحياة من أجلنا وأمدني دائما بالعزيمة والتشجيع

والإصرار على النجاح... أطال الله في عمرهما.

إلى زوجي ورفيق دربي الذي كان عوننا وسندا لي ولجهد المبدول في مساعدتي

على كتابة هذه الدراسة.

وكذلك إلى كل أفراد أسرتي وعائلة زوجي وأخص بالذكر إخوتي "إيمان"

"أسماء" و"أمين".

إكرام

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع وثمره دراستي إلى والديّ الكريمين اللّذين أذعما عليّ بحنانهما ودعائهما وسخّرا حياتهما من أجليّ ومن أجلّ ما أنا عليه اليوم وخاصّة إلى أبيّ العزيز رحمهُ الله برحمته الواسعة واسكنه فسيح جناته الذي لم أخط في أن يكون بجانبني لرؤيتي في هذا المنبر وفي ثاني من أهم لحظات حياتي.

إلى سنديّ في غياج الأبح إخوتيّ وزوجيّ شريك حياتيّ ورفيق دربيّ الذي لم يبخل عليّ بمساعدته وفيّ مدّة ليّ يد العون.

والى من دعمنيّ معنوياً بقلبه وروحه زوجة أخي الغالية.

شكر وعرفان

يقول الله عز وجل في محكم تنزيله { لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ }

نشكر الله تعالى فضله ونعمه أن هدانا وأمدنا بالعزم والإرادة في إنجاز هذا العمل، ونسلي ونسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القائل: "لا يشكر الله من لم يشكر الناس".

وإيماننا بما بأن الشكر يزيد في النعم ، نتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذتنا المشرفة التي كانت موجهة لنا حتى استتمام العمل الأستاذة "بور فاطمة".

الشكر موصول أيضا إلى الأساتذة أعضاء اللجنة المناقشة الذين تفضلوا بقراءة هذه المذكرة المتواضعة والحنائما، بمقترحاتهم القيمة .

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذتنا من الطور الابتدائي إلى الطور الجامعي وكل من ارتفعنا بفضلهم درجة في درجات سلم العلم.

أوسيب إكرام

ولد قدور إيتسام.

مقدمة

ومن هذا المنبر يكون طرحنا للإشكالية كالاتي: كيف حاول مالك بن نبي من خلال روايته "لبيك حج الفقراء" أن يجسد فكره في الكتابة السردية ومعالجته لمشاكل أمته للنهوض بها؟ وإلى أي مدى كانت طريقته في إيصال رسالته إلى متلقيه اجتماعيا وثقافيا؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية قسّمنا خطة بحثنا إلى مقدمة وثلاثة فصول، تعرضنا في الفصل الأول إلى تقديم عام لحياة مالك بن نبي وروايته "لبيك حج الفقراء"، حيث جاء بمبحثين كل مبحث منهما بثلاث مطالب أما الفصل الثاني فاستعرضنا الأبعاد الاجتماعية في الرواية اندرج تحته ثلاث مباحث جاء المبحث الأول بمطلبين، أما الفصل الثالث فعنوانه بالمظاهر الثقافية في الرواية وخصصنا له مبحثين كل مبحث بمطلبين، وفي نهاية البحث خاتمة رصدنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

و في دراستنا لهذه الخطة اعتمدنا على المنهج التحليلي في استخراج الأحداث والشخصيات وتحليلها والمنهج الوصفي في دراسة أحوال الشخصيات على حسب الزمان والمكان.

ومن أهم المصادر والمراجع التي أعانتنا في دراستنا واعتمدنا عليها في إتمام بحثنا هي:

- رواية لبيك حج الفقراء لمالك بن نبي.
- مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة لبن براهيم الطيب.
- مالك بن نبي مفكرا إصلاحياً لأسعد السحمراني.
- مذكرات شاهد للقرن القسم الأول (الطفل) والقسم الثاني (الطالب) لمالك بن نبي.
- في نظرية الرواية للدكتور عبد المالك مرتاض.

ومما لا شك فيه أن أي بحث أكاديمي لا يخلو من صعوبات ولعل أبرز ما اعترضنا في تقديم هذا العمل المتواضع هو شحّ الكتب في المكتبات وقلة المصادر التي تناولت موضوع بحثنا إضافة إلى ضغط الحياة الزوجية ومع ذلك فقد بذلنا جهدنا في إتمام هذه المذكرة.

وفي الأخير نحمد الله عز وجل على إتمامنا لهذا العمل المتواضع، ونرجو أن نكون قد وفقنا في كل ما طرحناه كما لا ننسى أن نتقدم بالشكر الجزيل لأستاذتنا الفاضلة "بور فاطمة" على نصائحها وإرشاداتها، والله ولي التوفيق. —————ق.

أوهيب إكرام ولدقدور ابتسام

تلمسان في: 2021/06/20

الفصل الأول : مالك بن نبي و روايته

" لبيك حج الفقراء "

❖ المبحث الأول: ترجمة لحياة مالك بن نبي.

1. حياته.

2. أعماله الفكرية.

3. مالك بن نبي في نظر الدارسين.

❖ المبحث الثاني: تقديم عام لرواية " لبيك حج الفقراء "

1. بطاقة فنية للرواية.

2. قراءة في عنوان رواية " لبيك حج الفقراء " .

3. ملخص الرواية.

المبحث الأول : ترجمة لحياة مالك بن نبي

لقد شهدت الساحة الفكرية العربية والإسلامية ظهور عدد من المفكرين والأدباء الذين انشغلوا بالفكر ، ونحن هاهنا نضرب المثل بالمفكر الجليل مالك بن نبي الذي يعتبر من أبرز فلاسفة الحضارة في القرن العشرين ، الذي اتسم بفكر أكثر مصداقية وأكثر قربا من واقعه الاجتماعي والحضاري ، وما يهمنا في هذه العجالة أن نسلط الضوء على أمور لا بد من الإشارة إليها قبل الولوج إلى صلب الموضوع وهي حياة المفكر مالك بن نبي وأعماله الفكرية وبعض آراء الدارسين حوله .

I-حياته:

I-1- نسبه:

هو مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي.¹

I-2- مولده و نشأته:

ولد مالك بن نبي في مدينة قسنطينة شرق الجزائر سنة 1905 في أسرة محافظة² ، لأبوين فقيرين كما كان حال كل العائلات الجزائرية بعد الاحتلال لأن الفترة التي ولد فيها مالك بن نبي تطابق الظرف السياسي والتاريخي والحضاري التي مرت به الجزائر ، والواقع التاريخي المأساوي الذي عاشه الشعب الجزائري في بداية القرن العشرين³ حيث كان والده يشغل منصب " خوجة "⁴ بالإدارة الحكومية في تبسة ، وكانت والدته تعمل خياطة لكي توفر ما يلزم لسد رمق العائلة⁵.

هذا ما يوضح لنا أن نتائج الاستعمار كانت جلية وواضحة في انعكاساتها على الشعب الجزائري الذي خلف الدمار والفقر والمعاناة وما إلى غير ذلك في كل أسرة جزائرية.

¹ - ينظر مجلة الحضارة الإسلامية ، السنة 15 ، العدد 9 (1974) ، ص 54 ، نقلا عن : مجلة الثقافة الجزائرية ، العدد 18 (1973).

² - ينظر مجلة جوهر الإسلام (تونس) ، السنة 3 ، العدد 3 (أكتوبر/ نوفمبر 1970) ، ص 32.

³ - ينظر بن براهيم الطيب ، مواقف وأفكار مشتركة ، دار مدني ، د.ط. ، د.ب. ، 2002 ، ص 36(بتصرف).

⁴ - خوجة : حاجب ، موظف ذو مهمة بسيطة .

⁵ - ينظر أسعد السحمراني، مالك بن نبي « مفكرا إصلاحيا »، دار النفائس، ط1 و ط2 ، بيروت ، 1404 هـ - 1984 م ، 1406 هـ -

1986 م ، ص 13 (بتصرف).

أدخل مالك بن نبي في تلك الظروف القاسية ولأول مرة إلى "الكتاب"¹ ليتعلم القرآن الكريم أين استغرق هناك أربع سنوات لكن كان تعليمه عبثاً زائداً على نفقة أسرته حيث لم تكن أجرة المعلم متاحة في كل الأوقات ولا زال مالك يذكر كيف أن أمه فشلت في إيفاء أجرة معلمه للقرآن فدفعت له خلاف ذلك سريرها الخاص. " ولا أزال أذكر كيف أنها اضطرت ذات يوم لكي تدفع لمعلم القرآن الذي يتولى تدريسي ، بدل المال سريرها الخاص".²

فقد كانت تتميز والدة مالك بصفات جيدة ، جعلت منها عنصراً فعالاً في تدبير أمور المنزل والاهتمام بأطفالها.³

ترعرع بن نبي في تبسة وأقام فيها حتى سنة 1918 حيث أنهى دراسة إعدادية تؤهله لدخول المرحلة الثانوية⁴ ، أين انتقل مرة أخرى لقسنطينة ليواصل تعليمه الثانوي فتقدم لامتحان سنة 1920 فتكفل عمله بالنجاح الذي كان حلمه وكانت أول سنة دراسية له في الثانوية 1921-1922. في عام 1925 تخرج مالك بن نبي بعد انقضاء أربع سنوات من الدراسة بالثانوية ويظهر أنه كان يشعر بنوع من التقدم في السن عن بقية زملائه.⁵

يبدو هذا الأمر طبيعياً خاصة بالنسبة لظروفه المعيشية المزرية التي لم تساعد أولاً ، وبالنسبة لمضايقات أبناء الفرنسيين التي تمثلت وتعددت في أنواع الإقصاء والتمييز والذل والإبعاد المسلطة على أبناء الجزائريين ثانياً ، ولكن رغم كل هذه الصعاب تمكن مالك بن نبي من شق طريقه. في هذه الفترة الأخيرة تنقل مالك بن نبي بين مدينتي قسنطينة وتبسة ، وبدأت مداركه تتسع

¹ - الكتاب : مكان لتحفيظ الصبيان القرآن الكريم ، ينظر : لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، ط 1 ، بيروت ، مجلد 01 ص 199.

² - مالك بن نبي ، مذكرات شاهد للقرن القسم الأول الطفل ، دار الوعي ، ط 1 ، الجزائر ، 1434 هـ / 2013 م ، ص 19.

³ - عبد الله بن حمد العويسي ، مالك بن نبي حياته و فكره ، الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، ط 1 ، بيروت - لبنان ، 2012 ، ص 55.

⁴ - د.أسعد السحمراني ، مالك بن نبي « مفكراً إصلاحياً » ، ص 14.

⁵ - بن براهيم الطيب ، مالك بن نبي وإبن خلدون مواقف وأفكار مشتركة ، ص 38.

وملاحظاته تزداد ، فتعرف على الطريقة العيساوية¹ المنتشرة بمدينة قسنطينة والتي كان جده أحد أتباعها ، وتعرف على الأدب العربي ، فاطلع على أم القرى للكواكبي ، ورسالة التوحيد لمحمد عبده والصحافة العربية كالمنتقد والعروة الوثقى. وكذلك اطلع على الأدب الفرنسي والصحافة الفرنسية وتعرف على المدارس الإصلاحية وبعض زعمائها ، وحسن تعليمه في العربية عند الشيخ عبد المجيد في الجامع الكبير ، وتعرف على بعض تلامذة الشيخ عبد الحميد بن باديس فشعر أنهم ينتمون إلى الخط الفكري عينه الذي ينتمي إليه.²

I-3- بحثه عن العمل :

تخرج مالك بن نبي سنة 1925م ، وكما سبق وذكرنا بأنه ابن أسرة مسحوقة مفرطة في الفقر لذا كان همه الوحيد وشغله الشاغل هو التفكير بالمستقبل وحصوله على عمل يشده به أزره ، ويساعد به أسرته فاتجه بصحبة صديق له إلى فرنسا بعد أن باءت كل جهوده بالفشل في الجزائر بحثا عن أي نشاط يقوم به ، وبعد جولة زارا خلالها عدة مدن فرنسية منها: باريس وليون ، ومارسيليا لم يحظيا في الحصول على أي عمل فعادا إلى الجزائر.

بعد عودة بن نبي من فرنسا استقر بمدينة تبسة واشتغل عوناً بمحكمةها سنة 1927م ثم عين كاتباً في محكمة "أفلو" في منطقة الأغواط من نفس السنة ، بعد ذلك انتقل إلى محكمة شلغوم العيد ليعمل بها.³ حيث دام ذلك حوالي سنة واستقال بن نبي من وظيفته بسبب سياسة الاستعمار الفرنسي ومضايقاته التي كانت تعرقل كل نشاط.

وفي سنة 1929م والتي تصادف الأزمة الاقتصادية العالمية وهو العام الذي اشتغل فيه بن نبي مع

¹ - الطريقة العيساوية : هي فرقة صوفية مغربية أسسها الشيخ الكامل محمد الهادي بن عيسى المغربي. و أصل هذه الفرقة الصوفية تعود بدورها إلى محمد بن سليمان الجازولي. تشتهر الطريقة العيساوية باستعمالها للأمداح بصوت عال واستخدام الموسيقى.

² - بن براهيم الطيب، المرجع السابق ، ص39.

³ - المرجع نفسه ، ص40.

صهره وشريك ثالث في إقامة طاحونة ليعملوا بها إلا أنهم فشلوا بسبب هذه الأزمة.¹ التي كانت سببا في جعل الوضع الاجتماعي يسير من سيء لآخر والحاجة للعمل ماسة أكثر. هاذ ما جعل بن نبي يشد رحاله إلى فرنسا مرة ثانية وبعد إلحاح من والديه بالسفر إليها للبحث عن أي عمل وإكمال دراسته ، وكان ذلك في شهر سبتمبر من سنة 1930م "دخل بن نبي إلى معهد الهندسة الكهربائية مدرسة اللاسلكي سنة 1931م وهي نفس السنة التي تم فيها زواجه من فرنسية هداها الله إلى نور الإسلام ، واستقرت حياته ، وتكثفت أنشطته بين الأوساط والنوادي والجمعيات الطلابية في باريس كنادي الترقى ، ونادي الطلبة المغاربة وجمعية الوحدة العربية ، وتعرفه على المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون^{*} وساءت العلاقة بينهما بسبب عدم الدراية من بن نبي كما يعترف في مذكراته ، والمعرفة في التعامل مع رجال الاستعمار.² "كما التقى مع الزعيم السياسي الجزائري مصالي الحاج^{*} وبالزعميين الإصلاحيين الشيخان عبد الحميد بن باديس^{*} ومحمد البشير الإبراهيمي^{*} وكذلك بشكيب أرسلان^{*} وبعض أعضاء الوفود العربية والإسلامية التي كانت تزور فرنسا.³

¹ - ينظر بن براهيم الطيب، المرجع السابق ، الصفحة نفسها. (بتصرف).

^{*} - لويس ماسنيون : من أشهر المستشرقين الفرنسيين في القرن العشرين ، ولد سنة 1883م ، وكل مستشارا بوزارة الخارجية الفرنسية. بلغت أثاره أكثر من 650 أثرا بين مصنف و محقق و مترجم و مقال ، و هو متهم من طرف مالك في أكثر من موقف ، توفي سنة 1962م .

² - ينظر أسعد السحمراني و بن براهيم الطيب،مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة ص231 ومالك بن نبي «مفكرا إصلاحيا» ص 16. (بتصرف).

^{*} - مصالي الحاج: يلقب "بأبي الحركة الوطنية في الجزائر" ولد 1898م. ناضل قبل ثورة التحرير من اجل الاستقلال، عارض بقوة ضم الجزائر إلى فرنسا، وساهم في تأسيس العديد من الأحزاب السياسية المناهضة للسياسة الفرنسية، توفي سنة 1974م.

^{*} - الشيخ عبد الحميد بن باديس: من رجال الإصلاح في الوطن العربي ولد سنة 1889م ورائد النهضة الإسلامية في الجزائر ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، توفي سنة 1940م.

^{*} - الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: من أعلام الفكر والأدب في العالم العربي ولد سنة 1889م، ومن العلماء العاملين في الجزائر. هو رفيق النضال للشيخ عبد الحميد بن باديس في قيادة الحركة الإصلاحية الجزائرية ، توفي سنة 1965م.

^{*} - شكيب أرسلان : كاتب و أديب ومفكر عربي لبناني ولد سنة 1869م، اشتهر بلقب أمير البيان بسبب كونه أديبا وشاعرا بالإضافة إلى كونه سياسيا ، توفي سنة 1946م.

³ - بن براهيم الطيب المرجع السابق،ص232.

لقد بقي بن نبي أكثر من خمس وعشرين سنة في فرنسا، أي إلى غاية 1956م باستثناء بعض الزيارات القصيرة للجزائر. وبعد هذا التاريخ عزم على الرحيل باتجاه مصر التي بقي إلى أن نالت الجزائر استقلالها سنة 1962م.

في القاهرة استطاع بن نبي إتقان اللغة العربية ، وبدأ يحاضر ويكتب بها. وأثناء وجوده بها زار أكثر من مرة سوريا ولبنان لإلقاء الندوات والمحاضرات حول الإصلاح والثورة، وكيفية مواجهة الاستعمار.¹

بعد استقلال الجزائر وفي عام 1963م رجع بن نبي إلى بلده بعد رحلة معاناة من الاستعمار والاغتراب والترحال، شغل عدة مناصب أكاديمية منها: مستشار التعليم العالي ، ومدير جامعة الجزائر، ومدير عام للتعليم العالي ولكنه استقال من منصبه سنة 1967م ليتفرغ للتأليف والكتابة. وفي عام 1972 تمكن بن نبي من التوجه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج لآخر مرة في حياته.

I-4- وفاته:

أصيب مالك بن نبي بسرطان الدماغ ، فسافر من أجل العلاج إلى باريس وأجريت له عملية جراحية ، واسترد بعدها صحته نوعا ما لمدة عشرين يوما، ثم اشتد عليه المرض فنصححه الطبيب المعالج بالعودة إلى بلاده ، فسارع الخطى إلى زوجته* وبناته الثلاث ، وبعد ثمانية أيام من رجوعه للجزائر توفي رحمه الله ، في يوم الأربعاء 4 شوال 1393هـ الموافق لـ 31 أكتوبر 1973م² بعد عمر ناهز الثمانية والستين سنة.

¹ - أسعد السحمراني، مالك بن نبي «مفكرا اصلاحيًا» ، ص1.

*- زوجته خلدوجة بن حواس ، من مواليد 1920م ، توفيت يوم : الخميس 11.06.2015م ، عن عمر ناهز 95 عاما، ينظر : وفاة-زوجة- مالك بن نبي عن عمر ناهز 95 سنة- تاريخ النصفح 01.04.2021م ، www.ennaharonline.com/ar/hadath/244378 .

² - نعيمة بغداد باي، مفهوم السياسة و الأخلاقيات السياسية عند المفكر مالك بن نبي ، مذكرة ماجستير تخصص فرع سياسي و إداري، قسم العلوم السياسية و العلاقات الدولية ، لجامعة الجزائر(بن يوسف بن خدة)، 2005-2004م ، ص72.

II- أعماله الفكرية:

لقد كان ملك بن نبي غزيرا في إنتاجه الفكري حيث ترك عدة مؤلفات تنوعت عناوينها واختلفت مواضيعها وتوحدت غايتها، معظم ماكتبه كان بالفرنسية ومن ثم كان يستعين بالأستاذ عبد الصبور شاهين ، والأستاذ عمر مسقاوي بالترجمة إلى العربية وهم من أبرز الذين ترجموا له.

كان فكر ابن نبي حضاريا تناول فيه الحضارة ودورها ومراحلها وعناصرها وتكلم عن جوانبها الثقافية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية وعن دور الدين والفن والأخلاق في بنائها وبقي مع ذلك تابعا مجددا ومجتهدا في هذا المجال.¹ فالحضارة كما يعرفها مالك بن نبي : «هو إنتاج فكرة حية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر، الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ فينبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره وعلى هذا النحو تتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل يتحكم بدوره في جميع خصائصه التي تميزه عن الثقافات الأخرى والحضارات الأخرى.»²

نستنتج من هذا التعريف أن مفكرنا مالك بن نبي يرى من وجهة نظره أن الأفكار هي أساس الحضارة.

لكن كل ما كان يهمله بالأكثر هو تخلف العالم الإسلامي الحضاري، لذا تناول في كل كتاب من كتبه الدعوة لإحياء مجد الحضارة الإسلامية وانبعاثها من جديد وذلك بالعودة لمنبعها الأصلي وهو الإسلام " حيث اتخذ مالك بن نبي من الإسلام مادة لفكره ومنهجها لفلسفته، وحاول طول حياته وإلى غاية وفاته، وفي جميع مؤلفاته ولقاءاته وندواته ومحاضراته، وفي كل مناسبة حاول جاهدا دائما أن يعبر عن قناعته بأهمية التغيير الداخلي والذاتي للمسلمين بأنفسهم، وان داء المسلمين هو داء حضاري وأن أزمتهم أزمة حضارية وهي أم الأزمات الأخرى التي يعانون منها. ولا يكون الخروج من

¹ - ابن براهيم الطيب، مالك بن نبي وابن خلدون ، مواقف وأفكار مشتركة ، ص 197.

² - أمانة تشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد تومبي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، د.ط، الجزائر ، 1989، ص 122.

هذه الأزمة الحضارية إلا بالعودة للإسلام".¹

مامعنى عبارة "العودة إلى الإسلام" عند بن نبي ؟ لقد رد على هذا السؤال في " شروط النهضة" (1949) : " تكمن قوة التماسك الضرورية للمجتمع الجزائري في الإسلام ، لكن في الإسلام المعاد النظر فيه ، في الإسلام الاجتماعي". العودة إلى المنبع أي القرآن والسنة ، تعني إعادة النظر في القواعد التي وضعها العلم القديم والفقهاء ، وتأسيس نظرة للعالم تتكيف مع الآفاق الجديدة التي أنتجتها الحياة ، التقدم ، العلم ، والأوضاع الدولية المفروضة...²

فابن نبي يرى أن الإسلام هو من غيّر الناس وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، وهو الذي وجههم بمنهج القويم ، وأخرجهم من حياة البدو وفيافي الصحراء إلى مؤسسي دول وحضارات غيرت مواقفهم وسلوكاتهم ، تقشعر أبدان أعدائهم من رؤيتهم ورؤية ما أوصلهم الإسلام إليه.³

¹—بن براهيم الطيب، مالك بن نبي و ابن خلدون مواقف و أفكار مشتركة ، ص 203.

²—مجلة الجزائر اليوم ، رؤيتي للإسلام... (58) الإسلاموية و فكر مالك بن نبي.

³—بن براهيم الطيب، المرجع السابق، ص 203.

وفي مايلي نذكر مؤلفاته بالمراحل¹:

المرحلة	الكتاب	تاريخ الإصدار	مكان الإصدار
مرحلة الجزائر - باريس 1950-1956	- الظاهرة القرآنية.	- 1947	- الجزائر
	- لبيك حج الفقراء (رواية)	- 1947	- الجزائر
	- شروط النهضة.	- 1948	- الجزائر
	- وجهة العالم الإسلامي.	- 1954	- باريس
مرحلة مصر 1956-1963	- فكرة الإفريقية الآسيوية.	- 1956	- القاهرة
	- النجدة الشعب الجزائري بباد.	- 1957	- القاهرة
	- مشكلة الثقافة.	- 1959	- القاهرة
	- حديث في البناء الجديد	- 1960	- القاهرة
	- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة.	- 1960	- القاهرة
	- الصعوبات علامة النمو في المجتمع العربي	- 1960	- القاهرة
	- الاستعمار يلجأ إلى الاغتيال بوسائل العلم	- 1960	- القاهرة
	- فكرة كمنويلث إسلامي	- 1960	- القاهرة
	- تأملات في المجتمع العربي	- 1961	- القاهرة
	- في مهب المعركة	- 1962	- القاهرة
- ميلاد مجتمع	- 1962	- القاهرة	
	- آفاق الجزائرية	- 1964	- الجزائر

¹ -نورة خالد السعد، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، دار السعودية للنشر و التوزيع، ط1، د.ب، 1997، ص40.

الجزائر -	1965 -	مذكرات شاهد للقرآن (القسم الأول الطفل)	
القاهرة -	1969 -	إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث	
بيروت -	1970 -	مذكرات شاهد للقرآن (القسم الثاني الطالب)	مرحلة استقلال الجزائر
القاهرة -	1972 -	مشكلة الأفكار في العام الاسلامي.	1963-1973
بيروت -	1972 -	المسلم في عالم الاقتصاد.	
دمشق -	1978 -	دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين.	
دمشق -	1978 -	بين الرشاد والتهيه.	

كما ترك مالك مجموعة من المؤلفات المخطوطة التي لم تطبع بعد منها:

- خطاب مفتوح لخروتشوف وإيزنهاور.
- مجالس دمشق.
- مجالس تفكير.
- مذكرات شاهد للقرن - القسم الثالث -.
- العلاقات الاجتماعية وأثر الدين فيها.
- نموذج لمنهج ثوري (باللغة الفرنسية).
- المشكلة اليهودية.
- العفن وقد كتبه في آخر حياته بالفرنسية.
- دولة مجتمع إسلامي.

- اليهودية أم النصرانية.

- دراسة حول النصرانية.¹

III- مالك بن نبي في نظر الدارسين:

1- محمود محمد شاكر:²

يقول محمود محمد شاكر في تقديمه لكتاب "في مهب المعركة": (لعلي لا أبالغ إذا قلت: إن هذه المجموعة من مقالات أخي الأستاذ مالك بن نبي، هي عندي من أنفس ما كتب لا لأنها تتناول موضوعاً لا يزال نعيشه وعاش فيه من قبل آبائنا...، بل هي أنفس شيء عندي لأنها تكشف لنا عن فكر رجل خبير، فكر في الأمور ساعة بعد ساعة، وقيد هذا الفكر في حينه فإذا نحن نرى أنفسنا في ضوء ما كتب قديماً، كأننا لم نتقدم خطوة في فهم البلاء الذي ينزل بنا ولا يزال ينزل...)³

2- محمد المبارك:⁴ يقول محمد مبارك، في مقدمة كتاب "وجهة العالم الإسلامي" عن مالك بن نبي: (إن مالكا يبدو في كتابه هذا وفي مجموع آثاره لا مفكراً كبيراً وصاحب نظرية فلسفية في الحضارة فحسب، بل داعياً مؤمناً يجمع بين نظرة الفيلسوف المفكر ومنطقه، وحماسة الداعية المؤمن وقوة شعوره...، وقلما استطاع كاتب مفكر أن يجمع كما جمع بين سعة الإطار والرقعة التي هي موضوع البحث وعمق النظر والبحث، وقوة الإحساس والشعور. أنا لا أقول انه (ابن نبي) ولكني أقول انه ينهل من نفحات النبوة، وينابيع الحقيقة الخالدة).⁵

¹ - زكي ميلاد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، دار الصفوة، ط1، بيروت، 1993م، ص97.

² - محمد محمود شاكر: مؤرخ وأديب مصري، ولد سنة 1909، نافح عن العربية في مواجهة التغريب اطلع على كتب التراث وحقق العديد منها.

أقام منهجه الخاص في الشعر و سماه منهج التذوق. خاض العديد من المعارك الأدبية حول أصالة الثقافة العربية، ومصادر الشعر الجاهلي.

توفي سنة 1997، ينظر موقع محمد محمود شاكر <https://m.marefa.org>، تاريخ التصفح: 2021-04-07.

³ - مالك بن نبي، في مهب المعركة، دار الفكر، ط3، دمشق، 2002م، ص11.

⁴ - محمد المبارك: ولد محمد بن عبد القادر المبارك في دمشق سنة 1912م، ونشأ في أسرة معروفة بالعلم والتقوى والصلاح، له العديد من المؤلفات: عبقرية اللغة العربية، العقيدة في القرآن الكريم، مذكرات في الثقافة الإسلامية، توفي رحمه الله سنة 1981. ينظر موقع الأستاذ محمد المبارك

<https://www.arabacademy.gov.sy/ar/page16250/> تاريخ التصفح: 2021-04-07.

⁵ - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط3، دمشق، 2002، ص14.

3- عمر مسقاوي:

يقول عمر مسقاوي:(الأستاذ مالك يطرح الإسلام كملهم لقيمنا وقادر على استعادة دور الإنسان مبراً من ثقل الحضارة الإمبراطورية، وهو يرى أن الإسلام لا يقدم إلى العالم ككتاب، وإنما كواقع اجتماعي يسهم بشخصيته في بناء مصير الإنسانية).¹

4- عبد العزيز الخالدي:

يقول عبد العزيز الخالدي عن مالك بن نبي في مقدمة كتاب "شروط النهضة" (أجد بين يدي سيرة عاطفة مؤثرة...وطريقته الجديدة...على تفسير القرآن...دقة النقد، وعمق التحليل، وصرامة المنطق... فأبدي له تقديري الشخصي، كأخ لي، وكأستاذ).²

5- أبو القاسم سعد الله:

يقول شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله- رحمه الله- عن مالك بن نبي : (يمثل مالك بن نبي مدرسة فكرية مستقلة بين المدارس الفكرية ، التي عرفتها الجزائر منذ الحرب العالمية الأولى. فلا هو من تيار المدرسة الاستعمارية التي نشأ فيها أمثاله واخذوا علمها ولغتها أي أولئك النخبة الاندماجية ، أو النخبة الإسلامية التي رضيت بالوظيف بعد التخرج ، واكتفت بما تطعمها به الإدارة الفرنسية ، ولا هو من تيار المدرسة السياسية التي أنشأها الأمير خالد ، ثم نجم الشمال الإفريقي ثم حزب الشعب إذ كان بن نبي كثير الانتقاد لهذه المدرسة ، ولا سيما أثناء زعامة مصالي الحاج لها ، ولا من التيار الذي تبناه ابن جلول وفرحات عباس لأنه في نظره منحرفين ، فكان كثير النقد لهم، ورغم كونه يحس انه من تلاميذ مدرسة ابن باديس، كان بعيدا عنهم لضيق مجاهم وتحويلهم في نظره عن دورهم ولسداجتهم فكان كثير النقد لهم، فهو مستقل الفكر ويمثل مدرسة على حدة).³

¹- عمر كامل مسقاوي، نظرات في الفكر الإسلامي ومالك بن نبي ، دار الفكر، ط1، دمشق، 1979، ص47.

²- مالك بن نبي ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، شروط النهضة ، دار الفكر، د.ط، دمشق، 1986، ص7، 11.

³- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1، بيروت، 1998، ج7، ص 211.

6- الطاهر سعود:

يقول الطاهر سعود: (في مرحلة الدراسة والتحصيل العلمي كان لي برنامج مكثف في المطالعة مررت فيه على مؤلفات العديد من المفكرين الإسلاميين ، والمعاصرين منهم بالذات ، وحينما وصلت إلى مالك بن نبي وجدت أنني أمام مفكر مختلف لا يكاد يشبه أحدا في خطابه ومنهجه ومصطلحاته ومعادلاته، من المفكرين الذين مررت عليهم من قبل)¹ لقد امتاز مالك بن نبي بشمولية أفكاره إذ كان يتمتع بفكر راق وأسمى وأجود وبثقافة واسعة.

اقتصرنا بهذا القدر من آراء الدارسين حول المفكر مالك بن نبي وما هي إلا عينات تمثل جزءا ضئيلا من الكم الهائل من الكتابات والآراء التي جابهت هذا المفكر اللامع.

¹ - الطاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي ، دار الهادي ، ط1، بيروت، 2006، ص 6.

المبحث الثاني : تقديم عام لرواية " لبيك حج الفقراء "

للخوض في دراسة فصول المذكورة ، يجدر بنا أولاً أن نقدم بطاقة فنية للرواية للتعريف بها .

1- بطاقة فنية للرواية :

الرواية " لبيك حج الفقراء " من تأليف مالك بن نبي وهو أول أديب جزائري يكتب رواية فنية باللغة الفرنسية ، وقد نشرها سنة 1947 عن دار النهضة في الجزائر ويعود الفضل في ظهور هذه الرواية للدكتور الباحث الجزائري زيدان خوليف الذي ترجمها إلى العربية بعد اكتشافه لها عند مناقشته لأطروحة الدكتوراه تحت عنوان " حياة وأعمال مالك بن نبي من عام 1905 - 1973 " تحت إشراف البروفيسور برهان غليون في جامعة السوربون الجديدة باريس 3، سنة 2006 ونشرت لأول مرة سنة 2009 عن دار الفكر بدمشق على يد الأستاذ عمر مسقاوي ، وتقع في 156 صفحة وهي رواية قصيرة في حجمها بسيطة في ترتيب أحداثها .

حيث تعد الرواية الوحيدة التي أبدعها المفكر العملاق مالك بن نبي ، الحاملة في طياتها وعيا وإبداعا فنيا إضافة إلى نضج فكري وسياسي وفلسفي .

وقد جاءت هذه الرواية عقب ما أصدر بن نبي كتابه الظاهرة القرآنية سنة 1946 ، وكما هو معروف أن كتاب الظاهرة القرآنية يعد من أقوى الكتب التي خلفها مالك فكرا وعلميا وتحليلا وعمقا.¹ وهذا الوعي كان كافيا لكي يكتب مالك رواية بنفس المستوى الفني والتحليل العميق مما كان يراه جارٍ في المجتمع الجزائري آنذاك.²

ذكر بن نبي في رسالة قصيرة إلى الناشر أن القصة كتبت في غرفة فندق بين سافرتين متقاربتين جدا وذلك في مدينة عنابة، ولم يكن له متسع من الوقت لكي يتعرف على الجانب الواقعي منها خاصة الشخصيتين التي قامت حولهما القصة وهما الفحام والطفل أما الجانب الخيالي الوحيد فيتمثل

¹ -موقع الانترنت ، مقالات بالعربية ، مالك بن نبي رائد الرواية الجزائرية ،الدكتور نوار عبدي .

² -المرجع نفسه.

في الصلة التي وضعها بين الأشخاص في المكان والزمان.¹

ويتحدث مالك عن روايته وكيف صاغها بالرغم من أنه كتبها في عجلة ويظهر لنا أن مالك بن نبي مدرك بأنه خاض تجربة إبداعية جديدة تحتاج إلى وعي بهذا الفن ، لذلك راح يشرح للناشر كيف جمع بين عناصر هذه الرواية والخطة التي اعتمدها لتقديم أبطاله حتى قال : " وإذا كانت هذه التفاصيل المادية للأحداث معروفة لدي بمنتهى الإتيقان ، فليست بالمثل فيما يتعلق بمجرها العاطفي والروحي " .²

فمالك بن نبي هنا ليس مثل أولئك الذين كتبوا خواطر ومروا ، أو جربوا حرفة الأدب فدخلوا التاريخ ، فنحن هنا أمام أديب يعرف معنى الأدب ويفهم في الرواية الشيء الكثير ، وله دراية بأصول النشر والتوزيع.³

2-قراءة في العنوان :

من المعلوم أن العنوان هو العتبة الأولى للولوج لمفاد ومغزى النص وأول ما تصطدم به عين القارئ فيتخذه مفتاحا يدخل به إلى تفاصيل النص أي هو البوابة الذي يفتح بها أي عمل أدبي .
فالعنوان في الرواية ثري بمعانٍ جديدة بمقدار ما تتوضح دلالات الرواية . فهو المفتاح الذي تحل به ألباز الأحداث وإيقاع نسقها الدرامي وتوترها السردية، علاوة على مدى أهميته في استخلاص البنية الدلالية للنص وتحديد تيمات الخطاب القصصي ، وإضاءة النصوص بها.
ويتضح من خلال عنوان رواية " لبيك حج الفقراء " أنه يشتمل على ثلاث وحدات معجمية سنحاول التعامل مع كل وحدة على حدة ثم نبحث عن العلاقة بينهما وعن تقاطعهما مع متن النص على النحو التالي:

¹ ينظر مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، ترجمة د. زيدان حوليف، دار الفكر، ط1، دمشق، 2009، ص24 (بتصرف).

² المرجع نفسه، ص25.

³ جريدة النصر ، العدد 13725 من كراس الثقافة الصادر بتاريخ 20 مارس 2012.

لبيك : من الفعل لَبَّى ، لبَّ، تلبية فهو ملبَّبٌ، والمفعول ملبِّي نقول لَبَّى في الحج قال : لبيك اللهم لبيك.¹ أي لزومًا لطاعتك وإجابةً بعد إجابة فهو يدل على التزام العبودية والإقامة على ذلك والثبات والدوام وتأتي بأسلوب حركة صوتية محملة بمشاعر إيمانية الخالصة تجاه مولاها نحو السماء.

حج : هو فريضة من فرائض الإسلام ، وأحد الأركان التي يقوم عليها ، وقد ثبتت مشروعيته في القرآن والسنة ، والإجماع ففي القرآن مثلاً قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.² فهو جملة من الأعمال والعبادات التي يقوم بها ضيوف الرحمان لتكفير الذنوب والخطايا وتركيباً للنفس وتزلفاً إلى الله سبحانه وتعالى وبهذا يكون الحج حلقة وصل وتواصل بين لفظي " لبيك " المتصل بالسماء واللفظ الموالي " الفقراء " مع العلم أن الفقر هو وضع يشير إلى مستوى أدنى من المعيشة، يتسم بحرمان ابسط القدرات الضرورية لحياة بشرية كريمة . فقد جاء العنوان يحمل في طياته دلالات دينية وبالأخص كما ذكرنا انه يعالج شعيرة عظيمة وهي شعيرة الحج، لكن القارئ المتمعن والذي يغوص في أغوار الرواية سيجد العنوان يحيل إلى تصوير حياة الجزائريين زمن الاستعمار وبعد الاستعمار خاصة لأن الرواية ترسم عمق الروح الجزائرية وشخصيتها المنتمية إلى تراث الثقافة والحضارة الإسلاميتين .

الغلاف: يحمل الغلاف مشاهد روحانية تتقاطع في عمقها مع معنى العنوان فاللوحه السينوغرافية (المشهدية) التي تغطي سطح غلاف الرواية مثقلة بدلالات موحية تختزل في جوهرها مضمون الرواية، تتوسطها الكعبة المشرفة التي تمثل المحراب المشترك لبضات قلوب المؤمنين ، وقبله المسلمين وهذا مؤشر واضح على " الحج " ، ينبعث منها نور ابيض كثيف و عارم يتجسد في صورة الحجيج بلباسهم الأبيض الناصع المتجرد من كل إضافة اجتماعية أو طبقية كما يمكن تأويل ذلك النور المنبثق من الكعبة المشرفة في اتجاه السماء ، بالتواصل الروحاني من خلال نداء التلبية في قولهم " لبيك " فهذه المؤشرات الدلالية تبعث على الاستبشار والأمل في المستقبل الواعد الحافل بالخير و العطاء لهذه الأمة.

¹ - د.أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1469هـ-2008م، المجلد الثالث، ص 1993.

² - سورة آل عمران ، الآية 97 .

أما دلالة اللون¹ في هذه اللوحة متعددة ففي الأسفل اخضرار باهت يدل على النماء والمهجة والخير والأمل لما لهذا اللون من تأثير على الإنسان بتحسينه للعامل النفسي ، ودفعه إلى حبّ الحياة ، فهذا اللون من أكثر الألوان الإيجابية في العادات والقيم العربية والإسلامية إلى جانب اللون الأسود الذي لم يستطع مقاومة النور الذي سيطر عليه ، فاللون الأسود يوحي بالأحزان والكآبة والإحباط ، أي هو يمثل غياب النور لذا صرفه الله سبحانه من الطبيعة بحيث لا نرى له وجود في الحياة الطبيعية ومن هنا نستطيع ربط هذا السواد بالاستعمار المنتج للمتاعب والتخلف الجاثم على البلاد العربية والإسلامية. وفي الأعلى من الجهة اليسرى من الغلاف يظهر اللون الأصفر معادي للألوان الأخرى وتصنف دلالاته الإيجابية كلون يدل على التفاؤل ، والثقة ، والانطلاق أما دلالاته السلبية فهو يدل على الغيرة لكن إذا تعلق الأمر بالغيرة عن الدين والوطن فيمكن اعتبارها دلالة إيجابية.

وفي الأعلى ومن الجانب الأيسر دائماً ينزل خط شاقولي على شكل شريط ملون باللونين الأخضر والأحمر تتوسطهما نقطتان بيضاوان هذه الألوان تحيلنا بدون تردد إلى هوية الرواية وصاحبها التي تمثل ألوان العلم الوطني الجزائري². وإذا جمعنا أجزاء الصورة بمختلف أشكاله لتحصلنا على العلاقة بين المتن وعنوانه الذي يتمحور أساساً حول الهوية المضطهدة والجغرافيا المصادرة والحرية المسلوقة³.

3- ملخص الرواية:

"لبيك حج الفقراء" لمالك بن نبي من باكورة أعماله الروائية في الجزائر حيث يروي لنا عن قصة دارت أحداثها حول الشخصية الرئيسية "إبراهيم" في الثلاثين من العمر ، الذي من خلاله أراد بن نبي توجيه رسالة حضارية حول الهوية الجزائرية الإسلامية ليبين أنه مهما كانت سيطرة الاستعمار وضغوطاته لتغيير هذه الهوية فإنها تظل متمسكة بجذور أصالتها الإسلامية التي هي أساس النهضة وهذه الشخصية الرئيسية التي تدور حولها الأحداث كانت في غفلة وفي طريق عكس اتجاه مقومات الذات ، فيروي لنا الكاتب كيف أن إبراهيم الذي هو من عائلة محافظة توفيا والديه وتركاه له دكان

¹ - ينظر : د. أحمد مختار عمر، اللغة واللون ، عالم الكتب للنشر و التوزيع ، ط2، القاهرة .مصر ، 1997، ص164 ، 165.

² - قراءة في التجربة الروائية عند المفكر الجزائري مالك بن نبي ، مجلة الممارسات اللغوية ، تيزي وزو ، الجزائر عدد 24 ، 2014، ص189.

³ - شارل روبير أجيرون ، تر. عيسى عصفور ، تاريخ الجزائر المعاصرة، منشورات عويدات ، ط1، بيروت - لبنان ، 1989 ، ص47.

فحم ومنزل، سلك طريق السكر بعد فقدانهما وفي أحد الأيام وافق موسم الحج شهر تفتّح فيه الأزهار الجو المليء بالطلاوة والانتعاش والنسمات العليلية، يستعد الحجاج الذين يجيئون من قطاعات مختلفة إلى مدينة عنابة ومشاعرهم تفيض بروحانية سامية مليئة بالسعادة لبلوغ بيت الله الحرام وتأدية هذه الفريضة المقدّسة وهي " الحج " لينبجس ذلك الهتاف والنداء لرب العالمين " لبيك ". كان إبراهيم وصديقه قد عادا مخمورين فبدأ يغني وهو يفتح باب دكانه حتى جاء جار له وهو العم " محمد " لمساعدته للدخول وعدم إزعاج الجيران في وقت متأخر من الليل وحين خلد إلى النوم إذ به يحلم بحلم أضاء ذلك الفراغ بداخله وبشعاع غير مجرى حياته إذ رأى نفسه بلباس الإحرام وعند استيقاظه عزم وبإرادة قوية أن يحقق هذا الحلم ويلتحق بالحجاج في هذا اليوم فكان أول من لجأ إليه وفاجئه بهذا التغيير العم محمد لكي يساعده في ترتيب أمور سفره ويسافر مع الحجاج من أجل أن يتكفل ببيع منزله لتسديد مصاريف هذه الرحلة وقد اندهش العم محمد وأعجب بهذا التغيير وقبل مساعدته وتولت زوجته هي الأخرى بتحضير له وجبة خفيفة في مشواره هذا ، مع هذا بقي بعض الشعور بالخوف اتجاه ضيق الوقت لدى إبراهيم ولكن سرعان ما تبدد لأن أحد من المنتخبين يشغل منصب مفوض مالي في بونة يعرفه ، فوفق في هذا الأمر وقام بشراء مستلزمات لباسه للحج ، وقد منح محله لصديقه وهكذا اتم نصف العمل وتوجه نحو وسيلة نقله عبر البحر إلى وجهته التي حلم بها بعد وداع جيرانه له وقد زاده فخرا وسعادة ومشاعر خالجه اتجاه زوجته في لحظة من ذكرى حياته إذ بعثت له زهرة التي طلقته بسبب إدمانه ومازالت تكن له الاحترام ، سبحة أمه عن طريق زوجة العم محمد الحاجة فاطمة ، فكانت لحظات تأثر كبير مرّ بها قبل صعوده المركب وأثنائه إذ التقى بمجموعات كبيرة من الحجيج وشعر أنه تخطى عالم جديد كما انضم إلى جماعة دعاه إليها حاج مسن ليقيم الصلاة معهم وشيئا فشيئا توطدت العلاقة بينهم حيث كان تنظيم الجماعات حسب انتمائهم لمختلف الفرق الدينية وتشكلهم حسب كل مدينة أحس أنه ينتمي إلى عائلة الشرفاء ، مجددا وبرابطة الأخوة الإسلامية كما صادف الطفل هادي الذي كان يلعبه حين يراه في بونة ب " بوقرعة " على متن هذا المركب والذي صعد إليه بدون جواز سفر لحماسه وتحقيق حلمه هو الآخر فهو طفل يتيم وفقير ، فتعاطف معه إبراهيم وساعده بدفع مستحقات سفره وكذلك الحجاج الآخرون وصار مقر باله يوما بعد يوم يعلمه الضوء وهادي يقدم له بعض الحاجات من المطبخ الذي كان يعمل فيه

جزاء بما فعله وكذلك جلب الماء للوضوء لجماعة إبراهيم كما انضم إليهم هو أيضا وهكذا قويت العلاقة في زمن هذه الرحلة حتى وصول الباخرة إلى جدّة الأرض المقدّسة وقد كان الحجاج قد تجهزوا لبلوغ هذه الأرض المقدسة وبعد أداء إبراهيم لمناسك الحج استقر هناك مع هادي الذي اتخذه ابنا له ، وقد بعث برسالة إلى العم محمد يعبر له فيها بسروره عما هو عليه الآن وهو يعمل بائع قهوة لحجاج بيت الله وهو يتمنى كذلك لزهرة أن تلحق به من بقية ثمن البيت حتى تتمكن من نفقات السفر وهو يتمنى له السعادة وأن يجمعهم الله في الدنيا أو في الآخرة .

الفصل الثاني: الأبعاد الاجتماعية في الرواية.

❖ المبحث الأول: الأبعاد الاجتماعية للشخصيات.

1. تحديد المفاهيم.

2. تحديد الأبعاد الاجتماعية للشخصيات.

❖ المبحث الثاني: الأبعاد الاجتماعية للأحداث (الزمكانية).

❖ المبحث الثالث: الجوانب الاجتماعية في الرواية.

تعد رواية " لبيك حج الفقراء " من الأعمال الروائية الجزائرية لكاتبها "مالك بن نبي" الذي سبق وتحدثنا عنه حيث استقى موضوعها من واقع حساس هش في زمن عاشت فيه الجزائر استبداد الاستعمار الفرنسي وهدفه من الرواية واضح فهو "في كل مناسبة حاول جاهدا أن يعبر عن قناعته بأهمية التغيير الداخلي والدّاتي للمسلمين بأنفسهم ،وأنّ داء المسلمين داء حضاري، وأن أزمته أزمة حضارية، وهي أم الأزمات الأخرى التي يعانون منها ولا يكون الخروج من هذه الأزمة الحضارية إلا بالعودة للإسلام"¹. فهو هنا يجسّد فكرة التغيير للنهوض بالحضارة الإسلامية لتكون سبب حل مشاكل وأزمات أخرى فهو عاش في ".... ظروف المرحلة الثالثة من مراحل الدورة الحضارية ووصفها بأنها مرحلة الانحطاط والتدهور والهزيمة..."² فحين نلاحظ إلى كتبه كلها ذات اتجاه واحد وهي الدعوة للنهوض بهذه الحضارة الإسلامية والتمسك بأصولها وأصالتها.

" فالسرد الروائي أضحي له أهمية خاصة في تاريخ الإمبراطورية والسرد علامة من علامات الشعوب المستعمرة كوسيلة لفرض الهوية والوجودية."³

" والملاحظة الجديدة بالتسجيل هاهنا، هي أن هناك تلاهما بين السرديات والتاريخ والتكوين الاستهامي الخالص للمجتمع المتخيل، وتنسجم هذه المقاربة للعلاقة بين السرد والتاريخ..."⁴

¹ - بن براهيم الطيب، مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة ص 203.

² - المرجع نفسه، ص 223.

³ - ينظر عبد الرحمان تواني، السرد والأنساق الثقافية في الكتابة الروائية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، د.ب (1437هـ 2016م) نور المعرفة ص 102، (بتصرف).

⁴ - ينظر المرجع نفسه، ص 105، (بتصرف).

المبحث الأول: الأبعاد الاجتماعية للشخصيات.

يتضمن هذا المبحث مجموعة من المصطلحات التي يجب أن نتطرق إليها بالتعريف اللغوي والاصطلاحي.

1- تحديد المفاهيم:

● البعد في التعريف اللغوي: ورد في معجم الصحاح للجوهري: بُعِدَ مصدر بُعِدَ، البُعْدُ ضدُّ القُرْبِ. وقد بُعِدَ بالضَّمِّ فهو بُعِيدٌ، أي تَبَاعَدَ وأَبْعَدَهُ غيرُهُ، وباعده وباعَدَهُ وبَعْدَهُ بَعِيدًا. والبُعْدُ بالتحريك: جمع باعِدٍ، مثل خادِمٍ و خَادِمٍ. قال النَّابِغَةُ: (البسيط)

فَتِلْكَ تُبْلِغُنِي التَّعْمَانَ إِنَّ لَهْفَضْلًا عَلَى النَّاسِ فِي الْأُذُنِينَ وَالْبَعْدِ

والبُعْدُ أيضًا: الملاك. تقول منه: بَعِدَ بالكسر، فهو باعِدٌ واستبعد، أي تباعد واستبعده: عدّه بعيدا. وتقول تنحَّ غير باعدٍ وغير بَعِدٍ أيضًا، أي غير صاغِرٍ وتنحَّ غير بعيد أي: كن قريباً¹.

● البعد في التعريف الاصطلاحي:

لقد اتجه تعريف البعد اصطلاحاً إلى الناحية الفيزيائية والرياضية فقط " فالبعد في الفيزياء والرياضيات يعرف لمكان أو لجسم بالحد الأدنى للإحداثيات اللازمة لتحديد أي نقطة في داخله وهذه الخطوط لها بعدا واحدا لأن إحداثي واحد فقط هو المطلوب لتحديد النقطة عليه. والأبعاد (الإحداثيات) المعروفة هي: الطولوالعرض والارتفاع والإحداثي غير المرئي وهو الزمن"².

¹ - بن حماد الجوهري، تحقيق د. إميل بديع يعقوب و د. محمد نبيل طريفي، الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 1420هـ - 1999م ج 2، المحتوى، أب-يعر، ص 17 وما بعدها.

² -نجوى طراد وشهرة بونقيرة، مذكرة ماستر في أدب عربي حديث، الأبعاد السياسية والاجتماعية في الرواية العربية " موسم الحجرة في الشمال " لطيب صالح أمودجا"، ص 10.

• الاجتماع في التعريف اللغوي:

ورد في قاموس المنجد في اللغة العربية المعاصرة على أن :

اجتماعي: منسوب إلى الاجتماع "حياة اجتماعية" الخاص بالمجتمع ومراتبه المختلفة، "النظام الاجتماعي"، "الطبقات الاجتماعية" الذي يعيش فيمجتمع أو قابل للعيش في نظام جماعة: "الإنسان كائن اجتماعي ، الذي له علاقة بتوزيع الأفراد في المجتمع من حيث تقسيم العمل ونتائجه: " عدالة اجتماعية" خاص بخدمة المجتمع "إصلاحات اجتماعية " "مساعدة اجتماعية" ¹ .

• الاجتماع في المفهوم الإصلاحي:

لقد ارتبطت عبارة اجتماع بعلم الاجتماع الذي اختلف فيه العلماء والدارسين في مجال العلوم حول تحديد مفهومه وماهيته فمن بين المفاهيم التي وردت في الكتب العربية: " أن علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية ، الأنظمة الاجتماعية ، و سلوك الإنسان في علاقته ببيئته و المجتمع" ² .

" ويطلق عليه ابن خلدون الذي يعتبر أول من اكتشفه، علم العمران، و ذلك لأنه يهتم بالعمران البشري و السلوك الإنساني، و يعتبره علما واسعا، حيث أنه يشمل على العديد من الأوجه فهو يهتم بالبيئة و تأثيرها على حياة الأفراد و سلوكهم، كما أنه يدرس حياة البدو و الحضر وماهيتهما و نشأتها و أسباب تقدمها أو تأخرها" ³ .

بعدها عرفنا كل من البعد والاجتماع نستطيع أن نحدد مفهومهما للبعد الاجتماعي الذي هو "انتماء الشخصية إلى فئة أو طبقة اجتماعية أو انتماؤها إلى الريف أو المدينة أو الأحياء الشعبية في المدينة أو الأحياء الثرية فالانتماء الاجتماعي للشخصية الروائية ينعكس على هيئتها وحركاتها

¹ - صبحي هموي، المنجد اللغة العربية المعاصرة، دار الشرق، ط1، بيروت، 2000 ص 219.

² - ينظر محمود عودة، أسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية، د.ط، د.ب، 1995، ص 19.15 (بتصرف).

³ - ينظر المرجع نفسه ، ص 2-4 (بتصرف).

ولغتها و سلوكها وطموحها.¹ فهو يتمثل في " المركز الذي تشغله الشخصية في المجتمع، ظروفها في المجتمع، ظروفها الاجتماعية بوجه عام "².

من خلال هذه التعريفات يمكننا القول أن البعد الاجتماعي هو مجموعة العوامل المرتبطة بالعلاقات المتبادلة بين الناس والحياة في المجتمع.

● مفهوم الشخصية لغة:

الشخص : جماعة شَخَصِ الإنسان وغيره، مذكر، والجمع أشخاصٌ وشُخُوصٌ وشِخَاصٌ، وقول عمر بن أبي ربيعة : فكان مجتبي، دونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي .
ثلاث شخوصٍ: كاعبانٍ ومُعَصِرٍ.

فانه أثبت الشخص أراد به المرأة. والشخص: سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد تقول ثلاث أشخاص وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه .

الشخص : كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات فاستعير لها لفض الشخص، وقد جاء في رواية أخرى: لا شيء أغيره من الله، وقيل : معناه لا ينبغي لشخص أن يكون أغير من الله³.

● مفهوم الشخصية اصطلاحاً:

" الشخصية هذا العالم المعقد الشديد التركيب ، المتباين التنوع ...تعدد الشخصية الروائية بتعدد الأهواء والمذاهب والإيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها من حدود"⁴.

¹ - ينظر أبعاد الشخصية الروائية ، البعد الجسمي، المادي ، البعد الاجتماعي ، البعد النفسي، البعد الأيديولوجي، الموقع

lahodod.blogspot.com(بتصرف).

² - حسين قباني، فن كتابة القصة ، دار الجيل للطبع و النشر و التوزيع، ط3، د ب، 1976 ، ص 71.

³ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط1، ط2، ط3، 1410هـ-1990م/1412هـ، 1992م/1443هـ، 1994م، بيروت، المجلد السابع، ص 45.

⁴ - د.عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة ، د.ط، الكويت. ص 83.

حيث لا يمكننا تصور أي عمل روائي دون اقتحام وطفغان شخصيات مثيرة فيه إذلا يكتمل العمل السردي إلا بوجود شخصية أو شخصيات تتصارع فيما بينهما.

الشخصية هي كل ماكان فطريا يتناسب وميول وغرائز ونزعات مؤلفها أو كاتبها، فالكاتب بهذه الشخصيات ينقل لنا نموذج مصغر عن الحياة الواقعية المتأثر بها أو التي أثرت فيه.

2- تحديد الأبعاد الاجتماعية للشخصيات:

تقوم الرواية على حدث رئيسي ويتفرع عنه أحداث أخرى، تجمعها فكرة مشتركة وتحركها شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية تأخذ كل منها دورها في تفعيل الحدث. فبالنسبة لدكتور صلاح فضل "الشخصية الرئيسية في الرواية أو شخصية البطل هي التي تتحكم في مصير الشخصيات الأخرى".¹ فالبطل في الرواية هو شخصية نمطية أي لا يعبر عن ذاته بل يعبر عن الأفكار العامة بطريقة خاصة².

أ- الشخصيات الرئيسية :

يظهر البعد الاجتماعي في تقديم الشخصية من خلال علاقتها مع غيرها من الشخصيات.

شخصية إبراهيم : البطل الرئيسي وعلى منواله نسج الروائي وقائع أحداثه حيث صور لنا الكاتب هذا الرجل الجزائري الذي نشأ وترعرع في مدينة عنابة (بونة إبان الحقبة الاستعمارية) البالغ الثلاثين من العمر والذي ينحدر من أسرة محافظة، حيث ماتا والداه وتركوا له بيتا وحانوتا لبيع الفحم ولكنه سرعان ما تحول من إبراهيم حافظ للقرآن الكريم إلى إبراهيم السكير بسبب طريق السكر والعريضة التي سار عليها، ضيع جل هذه الثروة وبسبب انحرافه هذا تركته زوجته زهرة بعدما سئمت حياته التعيسة وعيشته المذلة حتى بات يلقب "بيوقرة" (صاحب قارورة النيذ) من طرف الصبية ، فهو يمثل اجتماعيا طبقة من الضائعين من السكارى ، لكن لم يمضي طويلا حتى اقلع عن ذلك وتحول من هذا الرجل الضال ، التائه إلى إبراهيم المصلي، التقى الذي يقصد بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج

¹ - عبد الرحمان تواني، السرد و الأنساق الثقافية فيالكتابة الروائية ، ص196.

² - محمد سعيد فوج ر مصطفى خلف عبد الجواد، علم اجتماع الأدب، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، د.ط، بيروت ، 2008، ص

والذي يدافع عن دينه بكل شراسة عند مواجهة أحد البخّارة المسيحيين في الباخرة فأصبح بذلك يمثل طبقة من التائبين في المجتمع فهو بعد اجتماعي ذا منحى ديني وكذلك يرمز إلى الجيل الذي عايش الاستعمار واحتك بالمجتمع الأوروبي تورط بمعتقدات حضارتهم وتداعياتها التي أفقدته مقوماته الأخلاقية وعقيدته ولكن سرعان ما تعود النفس المؤمنة إلى الهداية وكان ذلك في أداء إبراهيم - هذا الاسم الذي ارتبط بنبينا إبراهيم عليه السلام الذي أقام قواعد البيت الحرام مع ابنه إسماعيل - فريضة الحج.

ب- الشخصيات الثانوية:

1- سي محمد: وهو ذلك الشيخ المسن التقى الطاهر ذو لحية بيضاء ،"كان شيخا ذو لحية بيضاء وحول عنقه سبحة مثل هؤلاء الشيوخ الذين نجدهم على درج مدخل جامع الباي ينتظرون نداء المؤذّن وهم يحذقون بمتعة في الغادي والرائح في الساحة"¹ وهو الجار والصدّيق الحميم لعائلة إبراهيم يدافع عنه رغم انحرافه ورغم كل ما يخلقه من إزعاج للجيران إزاء عريته وسكره فهو يقدم له يد العون والنصيحة عرفانا لذكرى والديه رحمهما الله ويمنحه كل من الدعم المادّي والمعنوي في تقليل الصعوبات لتحقيق حلمه وهو حج بيت الله ،"حيث كان حريصا على أن يزود إبراهيم بكل التوصيات الخاصة بسلوك الحاج بالأماكن المقدسة :مكة، بعرفات..."².

وبهذا كانت شخصية سي محمد في الرواية تمثل رمز الأصالة المتجدّرة في الأمة.

2- زهرة: زوجة إبراهيم التي لم تكن حاضرة في الرواية إلا عن طريق استرجاع ذكريات إبراهيم، وهي رمز وضع المرأة الجزائرية الوفية التي تصبر على زوجها وتقف معه في سائر أيامه، بحلّوها ومرّها ، زهرة التي قاست مع سي إبراهيم الأمرين ، والتي كانت تأمل في أن تستفيق يوما ما على تغيير حاله "مع

¹ - مالك بن نبي ،ليبك حج الفقراء ، ص33.

² - المرجع نفسه ص68.

أما كانت مطلقة، فقد رفضت أن تتزوج مرة أخرى إكراما لذكرى حمويها اللذين أوصياها باتباعهما وهما على فراش الموت¹.

3-هادي: الفتى الجزائري اليتيم ، رمز الأطفال المحرومين المشردين في المجتمع ، الذي يزاوّل مسح الأحذية كمهنة له، يراهن أصحابه المشردين أمثاله على أن الفقراء بإمكانهم أداء شعيرة الحج، فدفعته تلك العزيمة إلى التوجه للحج دون أوراق ثبوتية، ودون أن يحس به أحد، إلاّ الشيخ الحاج الذي توطأ معه إذ رمى له الحبل الذي تسلل به إلى القارب، حيث نقل بنفسه من ولد مشاغب إلى فتى يملك كامل الاستعداد ليصبح رجل حضارة، "وهو ما استطاعت أن تترجمه تلك التهيئة التي أطلقها (هادي) متأسفاً على انقضاء أول صلاة له كان يريد أن تدوم إلى الأبد، كما في انتظاره لحلول وقتها كالتلميذ الذي ينتظر موعد الاستراحة بفارغ الصبر"².

4-الحاجة فاطمة زوجة عمّي محمد: رمز المرأة الحنونة التي "كانت تكن له مشاعر أمومة لأنها رآته وهو يكبر وكذلك بسبب أهله الطيبين الذين رافقتهم حتى آخر لحظة في حياتهم"³ فقد كانت جارة لهم وقد حضرت الزاد لإبراهيم أثناء رحلته إلى البقاع المقدسة.

"ناهيك عن الأبعاد الاجتماعية للرواية، والتي قد نلمسها في 'شبكة العلاقات الاجتماعية' التي تعرف عليها إبراهيم في المركب، نجد فيها مختلف شرائح المجتمع بمختلف مستوياتهم وخلفياتهم وجنسياتهم وتوثق أسلوب حياتهم في حقبة من الحقب، بالرغم من أنّ روايته جزائرية في أغلب أحداثها، هذه الشبكة التي اهتم الكاتب بإتقان وحرص على إبرازها وإظهار مدى التعايش الذي كانت عليه، في مشاهد تصور لنا صفاوة ونقاء شبكة العلاقات الإنسانية في عفويتها وبساطتها"⁴.

¹-مالك بن نبي، المرجع السابق،ص71.

²-موقع الأنترنت، لبيك حج الفقراء...باكورة أعمال مالك بن نبي زاد مساره الفكري، 27 ماي 2021 .

³-مالك بن نبي، المرجع السابق ص68.

⁴-موقع الانترنت، لبيك حج الفقراء...باكورة أعمال مالك بن نبي زاد مساره الفكري، 27 ماي 2021 ، عائشة نجار.

المبحث الثاني : الأبعاد الاجتماعية للأحداث (الزمكانية).

يسرد لنا بن نبي قصة وجيزة لحج بطلها، فيصف لنا حالة هذا البطل السكير في ظل أجواء الحج عند المسلمين، وكيف تأثر بها هذا السكير التي كانت بداية الرواية مع مشاعر اشتياق للتقرب من الله في بيته فكانت هناك روحانية مقدسة وعاطفية وكما قال بن نبي: "...لقد أردت أن أمسّ جزءاً مهماً من الفلكلور الجزائري"¹، ونجد في قول عائشة بخّار في دراسة نقدية تحليلية للرواية: "الرواية مستمدة مجراها من واقع الأحداث على الساحة العربية في العالم الإسلامي، الذي حرص مالك على تشريحه بمبضع الطبيب، الذي يحترم مريضه دون أن يشفق عليه فيهلكه..."².

ويبين لنا الشهر الفضيل الذي وافق موسم الحج وهو شهر أبريل شهر تكثر فيه الأزهار بألوانها ونسيم عليل ينثر البهجة والفرح وكذلك يبيّن لنا مكان هذه الأحداث وهي عنابة في قوله: "فيغمر السهل العنابي بعبقات بلسمية"³.

وقد بنيت الأحداث في تقديم كيف تكون أجواء الحج عند المسلمين يوم السفر إلى بيت الله تاركين أملاكهم وأهلهم وعملهم وكذلك موعد ركوب الباخرة حيث يتلاقى الوفد القسنطيني القادمين إلى عنابة مع باقي الركاب وهناك من عائلات المدينة من يتشرف بتقديم بعض الوجبات الأخيرة للحجاج حيث تتملكهم مشاعر الوحشة والوداع.

وقد بيّن بن نبي التحول الجذري في شخصية إبراهيم الذي كان يدعونه الصبية "ببوقرة" في مدينة عنابة الذي نسب لها كل خصائص المكانية "الفضاء هو نظام دال وقد شكل في الرواية العنصر البناء الأساسي في توليد الرواية، فالشخصية هي التي تصنع الحدث ولا يحدث دون مكان فتعمره وتملأ الوجود صيحا وضجيجا وحركة، حيث يعتبر المكان عنصرا مركزيا في تشكيل العمل الروائي، وهو محل تأثير لمجمل وقائع الرواية والحركة الشخصيات وأفعالها وأهوائها ونوازعها وعواطفها

¹ - مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، ص 26 .

² - موقع الأنترنت، لبيك حج الفقراء... باكورة أعمال مالك بن نبي زاد مساره الفكري، 11 جوان 2021، عائشة بخّار.

³ - مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 28.

وآمالها"¹. فعند ركوبه الباخرة تخلى عن إبراهيم السكر وتركه ورائه، وتعارف مع الركاب الحجاج الآخرين وخاصة الطفل هادي الذي تعاطف معه وصارا مقربين من بعض في فترة هذه الرحلة من عنابة إلى تونس وصولاً إلى قناة السويس حيث بدأ الحجاج بالاستعداد لدخول الأرض المقدسة من تقليد أظافر وحلق شعر وأهم شيء ارتداء لباس الإحرام وهكذا حتى ترسو الباخرة بميناء جدة. صارت هذه الأحداث في زمن واحد وهو زمن الهجرة الميمونة إلى البقاع المقدسة لتلبية مناسك الحج وقد كان له صدى روحاني طغى على أحداث الرواية، فتمثل البعد الاجتماعي للزمان في ذلك النداء العجيب الذي ينبس منذ أربعة عشر قرناً داخل أعماق النفوس، ليؤثر غالباً في البسطاء من الناس الضعفاء إلى الله الفقراء إليه، الذين يعدمون سبل الوصول إلى أداء هذه الشعيرة، ويجعلهم يحنون كلما سمعوا نداء "لبيك" إلى واد بعيد غير ذي زرع، حيث ترك إبراهيم الخليل ذريته ليعبدوا الله"². وقد تداخلت هذه الأحداث الذي جمعها اتجاه واحد وركن من أركان الإسلام في تسلسل زمني واحد خضع إلى معالجة المدة التي عاشها البطل في لحظة تغير نفسي ووجداني حيث عادت الذات المؤمنة إلى أصلها، والأحداث التي وقعت في فترة وجيزة لبلوغ الهدف والحلم، "فالزمن كأنه هو وجودنا نفسه هو إثبات لهذا الوجود أولاً، ثم قهره رويدا رويدا بالإبلاء آخراً. فالوجود هو الزمن الذي يخامرنا ليلاً ونهاراً، ومقاماً وتضعاناً، وصبا وشيخوخة؛ دون أن يغادرنا لحظة من اللحظات، أو يسهو عنا ثانية من الثواني"³.

مكث إبراهيم واستقر في البقاع المقدسة بالمدينة المنورة حيث اشتغل بائع قهوة وتكفل بالطفل هادي وبعث للعم محمد برسالة يحاول من خلالها أن يصلح ما بدر منه اتجاه زوجته ليتوسط لهما ويحث زهرة على الالتحاق بإبراهيم من مصاريف هذا الأخير من بيع الدار الذي كلف به الشيخ محمد إذا أرادت ذلك طبعاً.

¹ - حميد الحماداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1991، 2000، ص51.

² - موقع الانترنت، لبيك حج الفقراء... باكورة أعمال مالك بن نبي زاد مساره الفكري، 11 جوان 2021، عائشة نجار.

³ - د. بشير بويجيرة محمد، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري، دار الغرب للنشر والتوزيع، د. ط، د. ب، 2001-2002، الجزء 1، ص199.

وبالنسبة للمكان أو الفضاء الروائي فتمثّل في حي من أحياء مدينة عنابة "بونة" والباخرة التي سافر عبرها الحجّاج إلى بيت الله الحرام لتأدية مناسك الحج وفي هذا المركب تظهر مجموعة من العلاقات الاجتماعية التي تتجلى فيها الإنسانية لمختلف شرائح المجتمع ومستوياته وجنسياته المتنوعة الذي اهتم الكاتب في إبرازه من خلال النقاشات التي كانت عفوية وبسيطة رغم اختلاف العقائد والأديان وإبراهيم "بعد قراره في خوض تجربة الحج إذ سيشهد فيها(منافع) له ، فتكسبه شعورا بالتغيّر النفسي الذي أحسّ به وهو يصعد عبر عبارة الحجّيج التي اعتبرها منقذته من عالم القذارة الذي تنصل منه وكأنه تخطى مع العتبة الأولى عتبة عالم جديد مطلقة زفرته 'الحمد لله'"¹، وذلك الدكان الصغير للفحم الذي ساعد العم محمد إبراهيم الدخول إليه دون إزعاج الجيران "دخل الشيخ معه إلى الداخل وكأنه يعرف تفاصيل المكان. كان يتحسّس في الظلام بيديه، تناول علبة الكبريت وبزند عود منها أشعل شمعة وضعت فوق صندوق حانوتي. كان إبراهيم يتوسط المحل..."².

لقد نجح مالك بن نبي في تصوير العبودية والسواد التي كانت تعيشه الجزائر مما خلفه الاستعمار من خلال شخصية إبراهيم والتناقض الذي عاشه بين العالم الأوروبي والإسلامي وصار التغيّر لهذه الذات المؤمنة بسبب حلم وهو يلبس لباس الطهارة لباس الإحرام فكان الشعور قوي لدرجة بلغ تحقيق الحلم والانتفاض مما كان عليه من عريضة وغفلة والرجوع إلى نبع أصالته الإسلامية النيرة، فقد كان إبراهيم ينحدر من عائلة محافظة ، فكانت الثورة على النفس لمحاربة العبودية. وقد نجح بن نبي في تجسيد المكان والزمان والمشاعر التي رافقتهما طوال الرواية وكانت أحاسيس تنبض بالروح الإسلامية الحيّاشة روحانيا ووجدانيا تجعل النفس في حالة شوق إلى تحقيق حلم إبراهيم ، وقد صورها لنا تصويرا رمزيا لحال الأمة الضائعة وهي تعود إلى الطريق السوي للهداية بإصرار وعزم.

¹ - موقع الانترنت، لبيك حج الفقراء...باكورة أعمال مالك بن نبي زاد مساره الفكري ،11 جوان 2021 ، عائشة نجار.

² - لبيك حج الفقراء، مالك بن نبي ، ص34.

المبحث الثالث: الجوانب الاجتماعية في الرواية:

لقد تميزت الرواية في تسلسل أحداثها بلمس بعض الجوانب الاجتماعية منها السلبية والايجابية نذكر منها ما يلي:

1- الجوانب الاجتماعية السلبية:

أ- الفقر:

لغة: ورد في لسان العرب: "فَقْرٌ: فَاقِرٌ وَالْفَقْرُ ضِدُّ الْغِنَى، مِثْلُ الضَّعْفِ وَالضُّعْفِ، وَالْفَقْرُ لُغَةٌ الرديئةُ الفقير الذي لا شيء له، والفقر الحاجة وفعله الافتقار والنعث فقير"¹.

وفي معجم المنجد في اللغة العربية المعاصرة: "فقر: حالة من هو فقير، عوز وحاجة، نقص معنوي وقصور، وفقير: ج فقراء: من يحتاج إلى ضروريات الحياة أو لا يملك إلا القوت، من ليس عنده مال أو موارد للقيام بمعاشه"².

اصطلاحاً: سنستعرض بعض التعاريف، حيث يعرفه علي محمد جعفر بمعناه الشامل هو: "تلك الحالة المادية التي لا يستطيع الإنسان من خلالها تحقيق الحد الأدنى لمتطلبات حياته، إماً لعدم كفاية دخله بصورة كبيرة، أو لعدم وجود دخل على الإطلاق"³. ويعرفه محمود حسن على أنه: "الحالة التي لا يكفي فيها دخل الأسرة في إشباع حاجاتها الأساسية للمحافظة على بنائها المادي والنفسي والاجتماعي، وله نتائج خطيرة على الصحة ونوع الثقافة السائدة في حياة الأسرة وما يتوفر لها من فرص التعليم"⁴.

لقد تجسد الفقر في الرواية في شخصية الطفل 'هادي' الذي كان يعيش هو وعائلته منذ صغره في خيمة بالية كملجأ لهم حيث كان والده يذهب كل صباح للعمل ولا يعود إلا مساءً زيادة على أمه التي كانت تحرس الثلاث أو أربع دجاجات تتخذ منبيضهن بعض المال لشراء الملابس للعائلة

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ص 60.

² - صبحي حموي، المنجد في اللغة العربية المعاصر، دار المشرق، ط2، بيروت، 2001، ص 1103.

³ - علي محمد جعفر، الأحداث المنحرفون: عوامل الانحراف، المسؤولية الجزائرية، التداوير، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د.ط، بيروت، 1984، ص 109.

⁴ - محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ط، د.ب، 1981، ص 56.57.

الفقيرة وهو يقص على الحجيج ماضيه يقول: "لكن أُمي ماتت وباع أبي الدجاجات لأن بيضها كان يسرق من الزريبة التي ذهبنا لنقيم فيها لنكون داخل المدينة"¹.

لم يمض طويلاً وبعد وقت قصير من وفاة والدته، لفظاً بيه نفسه الأخير ليلتحق بها إلى الفردوس الأعلى، فلجأ هادي إلى التسوّل ليقنات وبعد مضي حوالي عامين تعلم من أطفال أمثاله في بونة كيف يكسب قوته فاتخذ من علبة مسح الأحذية عملاً يسدّ به رمقه، حيث قال: "في البداية عندما كنت صغيراً كان أحد أصدقائي يترك لي علبة مسح الأحذية عندما كان يعمل عتّالا في محطات القطار أو في الموانئ، كنت أمسح الأحذية في غيابه وأقسم معه الإيراد والطعام، وفي المساء كنا نذهب لننام، مع أصدقاء آخرين لنا، لا أهل لهم مثلنا، في الصيف كنا ننام على عتبة المسجد أما في الشتاء ففي رواق أحد الحمامات. وعندما كبرت قليلاً اتخذت لي علبة لمسح الأحذية"².

ب- الحرمان: عرّف الحرمان لغة في معجم المعاني الجامع:

"حرمان: مصدر حرَمَ، يعيش في حرمان = في بؤس، حرمان الذات من الشهوات: منعها"³.

أما اصطلاحاً: اتخذ مفهوم الحرمان العديد من التعاريف فهو بالمختصر "حالة ذهنية للأفراد، ينجم عن فقدان القدرة على تلبية الاحتياجات الأساسية للحياة، أو فقدان المزايا أو الظروف المعيشية المألوفة لفرد معين"⁴.

وما نجد في الرواية من حرمان يندرج تحت ما يسمى بالحرمان الأسري الذي تمثل في الفتى 'هادي' الذي عاش متشرداً، محروم الوالدين، محروماً من أبسط المتطلبات التي يحتاجها الطفل من رعاية وحنان واهتمام، الذي أحس وهو على متن المركب في طريقهم إلى الحج بحنان واهتمام في

¹ - مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، ص 128.

² - المرجع نفسه، ص 129.

³ - موقع الانترنت <https://www.almaany.com>

⁴ - موقع الانترنت <https://ar.nousepsych.com>

صوت إبراهيم الأمر كثيرا ما افتقدتهما في بونة عندما كان يرى أطفالا في مثل عمره يتمردون على السيطرة الرقيقة لآبائهم"¹.

كما حظي بالاهتمام والحب من قبل فوج الحجيج الذي دافع عنه ووقف معه اثر اكتشاف أمره بأنه تسلل إلى المركب بدون وثائق ثبوتية، فكان هذا الفوج بمثابة العائلة لهادي حيث "كان متلهفا لأجل أن يتذوق نكهة الحياة العائلية التي طالما افتقدتها في بونة عندما كان يرى أطفال يدخلون أو يخرجون من بيوتهم حيث يوجد آباؤهم وأمهاتهم"². فقد كانت بين سي إبراهيم وهادي علاقة وطيدة حيث كان بالنسبة له المعلم والمرشد طوال طريقهم إلى الحج والذي اتخذ بمنزلة ابنه بعدما وصلوا وأدوا مناسك الحج واستقروا بالمدينة المنورة.

ج-الطلاق:

معنى "الطلاق هو حل عقدة النكاح بما يكون حلالا في الشرع، وأصله من الانطلاق، وهو الذهاب فالطلاق عبارة عن انطلاق المرأة"³.

لقد ورد في الرواية في قصة زهرة مع زوجها إبراهيم التي تطلعت منه بعد صبرها الطويل معه على "سلوكه غير السوي الذي كان يعذبها خاصة بعد انتقال والديه إلى الرفيق الأعلى"⁴.

كما نجد في الرواية جوانب اجتماعية سلبية أخرى منها: الضلال والذي نلمسه في شخصية إبراهيم وما كان يسير عليه من زلل وخطايا، لكنه سرعان ما سهل له الله العودة إلى الطريق المستقيم كما نجد البطالة التي تمثلت في هذا الأخير وزميله والطفل هادي، إضافة إلى جانب سلبي آخر وهو الجهل والامية الذي تمثل في شخصية زهرة التي كانت تلجأ إلى 'القرانة' أي قارئة حظ التي تنبئها بأن معجزة ستقع وسيزول سبب معاناتها، "كان هذا شغلها الشاغل فكم من مرة كانت تنتقل إلى القبّة

¹ - مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 119.

² - المرجع نفسه، ص 126.

³ - د. سمح رغييم، موسوعة مصطلحات الإمام فخر الدين الرازي، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 2001، ص 427.

⁴ - مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 46.

لكي تشعل شمعة هناك على أمل أن ينتهي سبب معاناتها: فسوق إبراهيم¹.

2- الجوانب الاجتماعية الايجابية:

أ- التعاون:

تعاون القوم، إذا أعان بعضهم بعضاً².

تعاون يتعاون، تعاوناً، فهو متعاون، تعاون الجيران تضامنوا، ساعد بعضهم بعضاً، تعاون الأهل تعاون الصديقان في السراء والضراء، لا يعجز القوم إذا تعاونوا {مثل}، {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}³.

لقد شهدت الرواية بروز عدة مواقف تحوي على التعاون، نلمسها في مساعدة شخصية "سي محمد" لإبراهيم عندما كان يعود إلى دكان الفحم ويكثر من الضجيج بسبب سكره، فكان سي محمد يقدم له يد العون حتى لا يزعج صوته الهدوء الذي كان يعم الشارع، وفي تقديمه لإبراهيم المساندة المادية والمعنوية للتغلب على الصعوبات والعقبات في إكمال الإجراءات اللازمة للذهاب صوب حلمه.

كما نلمس التعاضد في فوج الحجيج مع الطفل هادي حول إقامة له فراش مؤقت معهم بواسطة البرانس، وفي تبرع إبراهيم والإمام لهادي بقطعة من قماشهم ليخصّوا له لباس الإحرام مثله مثل جميع الحجّاج.

ب- الكرم والسخاء:

الكرم كما ورد في قاموس التعريفات هو "الإعطاء بالسهولة والكرّم من يوصل النفع بلا عوض فالكرم هو إفادة ما ينبغي لا لغرض فمن يهب المال لعوض جلبا للنفع أو خلاصا عن الذم

¹ - مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 47.

² - الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، ط1، بيروت، 1974، مجلد2، ض-ي، ص178.

³ - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1429-2008، ص1437.

فليس بكريم ولهذا قال أصحابنا يستحيل أن يفعل الله فعلا لغرض والاستفادة به أولوية فيكون ناقصا في ذاته مستكملا بغيره وهو محال"¹.

والسخاء من الفعل سخا: السخاوة والسخاء أي الجود².

فالرواية شهدت هذا الجانب في شخصية "الحاجة فاطمة" زوجة "عمي محمد" التي أعدت الميدة وعطرت الغرفة بالبخور استقبالا وإكراما لإبراهيم اللذان كان يعتبرانه بمثابة الابن بسبب طيبة وألفة والديه رحمهما الله، كما جهزا له قفة ممتلئة من الطعام شارك فيها الجيران كمؤونة له في سفره.

¹ - السيد الشريف الجرجاني الحنفي، التعريفات، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت-لبنان، 1421، 2000م، ص198.

² - الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، ص 574.

الفصل الثالث: المظاهر الثقافية في الرواية

❖ المبحث الأول: مفهوم المظهر الثقافي.

1. تعريف المظهر.

2. تعريف الثقافة.

❖ المبحث الثاني: المظاهر الثقافية المادية واللامادية في

الرواية.

1. المظاهر الثقافية المادية.

2. المظاهر الثقافية اللامادية.

المبحث الأول : مفهوم المظهر الثقافي.

1- تعريف المظهر:

لقد ورد في الصحاح مفهوم المصطلح كالاتي: «المظهر(ج) مظاهر وهي حالة الشيء ، الواضح الملموس قال هذا مظهر من مظاهر الطبيعة ، وهو صفة تستعمل في علم البيئة النباتية لوصف النباتات في المواسم المختلفة فيقال المظهر الربيعي والخريفي والصيفي للنباتات»¹.

وقد جاء تعريفه في جريدة البلاد أنّ «المظهر الوسيلة الأساسية للحكم على الشخص الذي أمامك و بالذات في الأمور المهمة و الارتباطات الإستراتيجية»².

فالمظهر هو انطباع خاص بالشخصية أمّا فكريا أو جسديا ، وخاصة المظهر الخارجي يظل مرآة نشأة الفرد ويعكس أسلوب تفكيره وفلسفة عيشه .

تختلف المجالات وتتنوع عند مختلف شعوب العالم في الديانات والعقائد والعادات والتقاليد والأعراف والجنسيات وتعدد المظاهر فيها من مظاهر ثقافية (الثقافة الإسلامية ، الهندوسية ، المسيحية وغيرها...) ومن حيث كذلك اختلاف البلدان وثقافتها ، نجد مظاهر حضارية التي تعطي للجماعات طابعا خاصا بها ، مظاهر تراثية ، مظاهر اجتماعية ، مظاهر اقتصادية ، مظاهر سياسية وغيرها .

2- مفهوم الثقافة:

تعد الثقافة من المواضيع الأكثر أهمية التي اهتم بها مالك بن نبي في دراساته لدورها في حياة الإنسان المعاصر فهي تلك الأفكار أو الفكر المتطور الواعي لدى الفرد ومعالجته لهذا الموضوع في مشروعه بناء الحضارة له أهمية لأنه جوهرها .

¹ - الجوهري، الصحاح في اللغة و العلوم ، مجلد02، ض- ي ص170.

² -الكاتب د . منصور الحسيني . جريدة البلاد، العدد 22430. موقع archive.albiladdaily.com

لأنه يرى أن الثقافة المغربية منفصلة عن الواقع وهي تعيش في أزمة في حيز منغلق «الثقافات التي تبقى مغلقة سوف تتلاشى وتندثر ، وأكثر الثقافات التي عاشت عبر السنين وانتشرت هي الثقافة التي انفتحت على الآخرين فأفادت واستفادت»¹.

فمالك بن نبي من الذين ارتقهم هموم بلادهم فبحث في أسباب ركب الحضارة وهي تلك النوع من الثقافة المترنحة فخصص لها حلولاً لتسمو بمكانتها في بلاد المسلمين . إذ يرى أن الثقافة هي المجال الذي يشكل فيه الإنسان طباعه و شخصيته . وهي كل ما يرفع من شأن الفرد ومستواه الاجتماعي حيث يمتص كل ما يتلقاه تلقائياً من محيطه فيربطها مالك بن نبي بالأخلاق والجمال والعلم والحس المنطقي .

وقد عاجلها من حيث الثقافة في التاريخ الجانب النفسي للمسألة الثقافية والجانب الاجتماعي والأزمة الثقافية في الوطن العربي .

«فمفهوم " الثقافة " ثمرة من ثمار عصر النهضة عندما شهدت أوروبا في القرن السادس عشر انبثاق مجموعة من الأعمال الأدبية الجلييلة في الفن ، وفي الأدب ، وفي الفكر»². فهي نتاج فكري تولد عن عصر النهضة الذي ظهرت فيه أعمال أدبية غزيرة مختلفة ومتنوعة في كل المجالات ، فازدادت الثقافة بعدها مفهوماً أكثر تحديداً وإيضاحاً .

وجاءت المفاهيم والتعاريف حولها مختلفة كل يعبر عن فكرته من خلال رأيه الخاص.

فوجدنا في نظر إدوارد سعيد «عنصراً منفيًا و دافعاً إلى السمو... ذلك أنّ الثقافة قد تحمي الإنسان من الوقوع في الدناءات أو الاستلاب والتبعية للآخر . إنّ الثقافة بهذا المعنى مصدر من

¹ - مجلة البيان الكويتية ، العدد 566. سبتمبر 2017 . PDF . ص 6.

² - مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة، دار الفكر بدمشق، د.ط، طرابلس - لبنان ، 1399هـ - 1979م ، ص 25.

مصادر الهوية...»¹.

- إنَّ مدلول الثقافة في لغتنا الأم هو المنطق السري وفضة الشخص ذو ملكة واعية بتعلم أمور جديدة كل يوم للإحاطة بالمعرفة الكافية لإفادة نفسه و الآخرين . وهي بهذا تعبر عن سلوك الإنسان الذي يحدد مساره وثقافة شعب هي هويته الذي يتفرد بها عن بقية الشعوب من عادات وتقاليد وقيم ولغة ودين وتمنحه تلك الميزة بالخصوصية .

فالشعوب هي من تصنع ثقافتها ليكون لها طابع في العالم الثقافي لإبراز القدرة على الوجود . إن كون بلادنا ما تحرص على نتاج ثقافتها إذ هي تعتبر ثروة وطنية جديدة بالاستثمار إذ «يرى المواطن في ثقافة مواطنه «الآخر» جزءاً من شخصيته الثقافية يعنى بها ويعتزُّ»².

الثقافة «هي أساساً صياغة للقدر على النحو الذي يستجيب لإرادة الأمم ويحقق مثلها في رؤيتها لذاتها ولدورها ولمنزلة الفرد فيها كائناً ما كان عرقه أو معتقده . ومن ثم فهي ليست فقط صدى لما هو كائن وإنما هي طموح إلى ما يكون ، تطلع لما تريد الأمة أن تكون ضاربة في الأعماق منفتحة على الآفاق»³.

فهي موروث فكري عبر الأجيال تحقق التنمية للأمة وهي أساس التعبير عن هوية الفرد ومنزلته في المجتمع مهما كانت جنسيته.

إن تطور الذات لكل فرد حسب خبراته إضافة إلى المعارف ضمن الفئة التي تكوّن المجتمع تكوّن علاقة جدلية وتداخل بين الأفكار المعرفية ومختلف الفنون والأديان والسلوكات والعادات والقوانين السائدة تساهم في التفاعل وتأثير في الأجيال ، فيكون تطور الثقافة الأساسي هو الفكر .

وتدل الثقافة من حيث الحدائثة في اللغة العربية على أنّها «لفظ جامع ، فهو ينتظم طائفة من

¹ - عبد الرحمان التواني، السرد و الأنساق الثقافية - ص 102 .

² - مجلة الثقافة الشعبية ، البحرين ، العدد 25، السنة الرابعة - ربيع 2014 . فصيلة علمية متخصصة . ص 8.

³ - المرجع نفسه . ص 9.

القيم والمعاني والمدلولات التي منها الأدب بأجناسه ، ومنها الفكر بمعناه الفلسفي ، ومنها الفن بمبراميه التوجيهية والتعليمية والترفيهية»¹.

وفي المعجم الفلسفي «الثقافة هي كل ما فيه استنارة للذهن وتهذيب للذوق وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد أو المجتمع ، وتشتمل على المعارف والمعتقدات ، والفن والأخلاق ، وجميع القدرات التي يسهم بها الفرد في مجتمعه ، ولها طرق ونماذج عملية وفكرية وروحية ولكل جيل ثقافة التي استمدتها من الماضي و أضاف إليها ما أضاف في الحاضر وهي عنوان المجتمعات البشرية»².
فهي تعبر مجرى حياة الشعوب من حال إلى حال أكثر سمو من المعرفة و التميّز.

والتيارات الثقافية تختلف من أغاني واللغة العامية ، وفنون متعددة وسياسة وأفلام سينمائية وثقافية وغيرها ، ومجالات ومؤتمرات عالمية ومسرحيات وعالم الكتب من قصص وروايات ودراسات علمية ومحلية ، وأدب و تاريخ و وثائق...

«الثقافة تكتسي طابعا إنسانيا شموليا ومتعددا ذلك التعدد الذي لا يلغي التكامل بل يعتبر شرطا ضروريا وأساسيا»³.

بالمعنى العام ما يتصف به الشخص ذو الملكة الحاذقة التي تتسم بالذوق والحس الواعي والحكم المنطقي فهي معرفة وعلم ، وتكمن وظيفتها في توطيد العلاقات عبر تكوين الاتجاهات والقيم العامة للمجتمع حيث يتفاعل فيه الأفراد.

¹— د.عبد المالك مرتاض، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير و التأثر ،دار الأنوار للطباعة، د.ط، دمشق، 1981، ص7.

²— مفهوم الثقافة في الفكر العربي الغربي ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الاسلامية ، كلية الشريعة ، قسم الثقافة الاسلامية ، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ، شبكة الالوكة ، دون س ، ص 7.

³—عبد الرحمان التواني، السرد والأنساق الثقافية ، ص101.

المبحث الثاني: المظاهر الثقافية المادية و اللامادية في الرواية.

إن النص لا محالة ينبض بمجموعة من الأنساق والرموز التي تشير إلى ثقافة ما أو شعب ما ، وفي هذه الرواية يمكن تصنيف عناصر الثقافة إلى مادية ولا مادية.

1- الثقافة المادية: وتعني كل ما يتعلق بالسلوك الشعبي المنظور وليس المسموع ، وهي تشمل في ذلك كل التقنيات والمهارات المتوارثة خلفا عن سلف فيما يخص الحرف اليدوية والصناعات التقليدية ونمط الملابس والمأكل والمسكن ، وأدوات الصيد والقنص وطريقة حفظ الغلال، ودفن الأموات، وما إلى ذلك من الأشياء التي تتم صناعتها يدويا وبطريقة تقليدية (نمطية متوارثة عبر الأجيال).¹

ففي رواية "لبيك حج الفقراء" تتلخص هذه الجوانب في مظاهر الطعام واللباس واللغة وسنحاول هنا رصدها كما وردت في الرواية.

أ- الطعام: "يعتبر الطعام بالنسبة للكثيرين أكثر تعابير الثقافة حساسية وأهمية".² بحيث تختلف ثقافة الطعام من بلد إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر.

فمالك بن نبي اجتهد في وصف الطعام المختلف بما أن رحلة الحج تحتاج إلى ذلك لإستغراقها وقتا طويلا للوصول، فذهب يكشف عن بعض الأكلات الجزائرية التي لا زالت موجودة إلى يومنا هذا في المناسبات العائلية والدينية، ومنها "البقلاوة الخاصة بالعائلات الغنية و(المقروض) لقاطن المدينة الفقير وأما (الرفيس) فللريفي".¹ وفي قوله: "لم يكن مع إبراهيم سوى خبز مصنوع في البيت مطل بصفار البيض".²

¹ - د.أحمد بن نعمان، هذي هي الثقافة، دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع، ط1، الجزائر، د.ت، ص84.

² - نيومارك بيتر، الجامع في الترجمة، ترجمة حسن غزالة، منشورات دار و مكتبة الهلال، ط1، بيروت-لبنان، 2006، ص154.

¹ - مالك بن نبي، لبك حج الفقراء، ص 102.

² - المرجع نفسه، ص102.

ب- اللباس: هو الثوب، والزّي وكل ما يكسي جسم الإنسان من غطاء رأس وحذاء ومجوهرات وعباءات وغيرها فهو من الأمور الحتمية التي فرضت على الإنسان لتمييز عن الحيوانات الكاشفة عورتها بستر جسمه. " فالفطرة السليمة تفرض على المرء ستر أجزاء من الجسم لا يصح لغيره النظر إليها ".¹ قال تعالى: { يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ }²

ويدل على مكانة الفرد في مجتمعه من مرتبة ووظيفة وعمر وجنس والوضع الاجتماعي والدين.

تنوّع وتعدد الملابس للتكيف مع البيئة وتختلف عند العرب والمسلمين نتيجة الاختلاف الثقافي والاجتماعي والبيئي حيث تتميز كل منطقة على أخرى، "كذلك كان اللباس من أهم وسائل التعارف بين البشر، ودليلا على الهوية والجنس والسن والوضع الاجتماعي والمهنة وحتى العقيدة".³

ومما لا شك أن اللباس هو الأصل الذي يوحى إلى ثقافة الشخص ويعبر عن هويته، "ويبقى رمزا يعرف بانتماء الإنسان رغم ما أصاب العالم الإسلامي اليوم من غزو ثقافي حاول مسح اللوحة العربية الإسلامية واستبدالها بموضة الغرب"⁴ ورمز للعقلية المنتمية إلى بلد ما، فشخصيات الرواية المتنوعة ميزها مالك بن نبي بوصف ما ترتديه من ملابس، فعندما تكلم عن إبراهيم وهو في حالة السكر والضياح "كان يرتدي مئزرا طويلا يصل إلى الكعب ومنتعلا حذاء قماشيا ويضع فوق رأسه شاشية متأكلة و عليها دسم القرف"⁵ فاللباس في بعض الأحيان علامة على البؤس والترف وحافظ يدفع الآخرين إلى التحقير والإذلال و هذا ما دفع بإبراهيم إلى حالة الشعور المزجي، كما صوّر لنا الكاتب حياة المعصية التي يلفها الابتئاس والسواد والحزن، و"كان إبراهيم ، وهو واقف في وسط الغرفة بقميصه المدبوغ مع يديه بغبار الفحم، يجسّد الروح السوداء لهذا المكان المعتم".⁶ واستحضر

¹ - الموسوعة العربية arab.encyclopedia.com.

² - القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية 26.

³ - الموسوعة العربية، المرجع السابق.

⁴ - مقالة رواية "لبيك حج الفقراء"، مالك بن نبي، دراسة سيكولوجية.docx.

⁵ - مالك بن نبي، لبك حج الفقراء، ص 34.

⁶ - المرجع نفسه، ص 35.

حذاءه الذي لم يكن يلبس مثله سوى (أولاد الحرام) مثلما يطلق على السفلة في الجزائر. "فحذاء كهذا بالنسبة إلى الناس الطيبين من الجيل السالف، لا ينتعله إلاّ قطاع الطرق وأشخاص في منتهى النذالة لكي يفاجئوا غيرهم دون إصدار صوت أو للفرار بسرعة".¹ لكنه خلاف ذلك وصف لباس إبراهيم وهو حاج إلى بيت الله ليصور لنا حال إبراهيم بعد استيقاظه من زلّته و طيشه، حيث اتجه إلى أحد باعة القماش الذي قطع له أمتارا من نسيج قطني أبيض لتكون له لباسا للإحرام. هذا الرداء الذي يشدّه الحاج حول جسمه عند أدائه شعائر الحج من الطواف حتى رمي الجمرات. كما اشترى إبراهيم من المحل نفسه (بُلغة) وجبّة وبعض أمتار من (الحرير الموصلي) ليجعل منها عمامة² التي تعكس لا محالة انتماء الفرد إلى ثقافة عربية إسلامية. أما عندما تحدث عن عمي محمد ذلك الشيخ التقى، المتعبّد الذي كان يرتدي لباسا أبيض يعكس شخصيته التبعديّة و يضع حول عنقه "المسبحة" التي تمثل الرصيد الثقافي المتوارث عبر الأجيال مثلما جاء في الرواية " الذي يخاطبه كان شيخا له لحية بيضاء وحول عنقه مسبحة"³، وعند دخول الحجيج إلى المنطقة المقدسة يتخلى كل حاج عن ملابسه العادية: الجبّة، البرنس والعمامة حاسر الرأس ولا يتزيا إلا بلباس الإحرام⁴ فهذا النوع من اللباس التقليدي كان ولا زال إلى الآن لباس الشيوخ في الجزائر.

كما ذكر لباس الطفل اليتيم والمتشرد "هادي" التي كانت تعكس حالة البؤس التي كان يعيشها فقد "كان شعره أشعث ورجلاه حافيتان يرتدي سروالا كثرت ثقوبه كغالبية أطفال بونة".⁵ وبن نبي لم يكتف بذكر اللباس الجزائري فحسب، بل تحدث كذلك عن لباس البلاد المجاورة تونس في قوله: " شدّ انتباهه رجل كان يضع (كشطة)، عمامة خفيفة تميّز التونسي الذي له دور في الحياة الثقافية أو الدينية عن غيره، وكان معه تونسي آخر يصغره سنا يلبس طربوشا...".⁶

¹ - مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 43 وما بعدها.

² - المرجع نفسه، ص 60 وما بعدها.

³ - المرجع نفسه، ص 33.

⁴ - المرجع نفسه، ص 42.

⁵ - المرجع نفسه، ص 76.

⁶ - المرجع نفسه، ص 86.

ب- اللّغة : جاءت لغة الكاتب في وعاء فلسفي ديني تصويري ومن خلال اللّغة يستطيع الكاتب أن يوصل ما يريد إلى القارئ بأساليب متنوعة متسلسلة الأحداث وبتقنية لا تجعل هذا المتلقي يشعر بالملل، و تكمن هذه التقنية بالعناصر التالية: لغة الحوار- المستوى السردى- لغة النسيج السردى- الوصف.

«والحق أن مسألة المستويات اللّغوية داخل العمل السردى تعني ، في المذهب النقدي المتسامح، أن الكاتب الروائي عليه أن يستعمل جملة من المستويات اللّغوية التي تناسب أوضاع الشخصيات الثقافية والاجتماعية والفكرية ؛ بحيث إذا كان في الرواية شخصيات: عالم لغوي، وصوفي، وملحد، وفيلسوف وفلاح ، ومهندس، وطبيب، وأستاذ جامعي... فإن على الكاتب أن يستعمل اللغة التي تليق بكل هذه الشخصيات»¹.

يبين لنا عبد المالك مرتاض بشكل مباشر أنه على الكاتب أن يحترم شخصياته بتقديمه لها بشكل يناسبها في محيطها ومجتمعها ومكانتها حيث ينسب لكل منها لغتها الخاصّة بها حيث ليس من الجائز أن يتكلم الطبيب بلغة المهندس أو يتكلم الفيلسوف بلغة البيطري.

«إنّ كل لغة تركّز في نظام يجسد مدى عبقريتها، ومدى قدرتها على الأداء، و إلى أي حد يمكن أن يرقى مستوى النسيج فيها من خلال استعمالات أدبائها و مبدعيها لها»².

فاللّغة أداة من أدوات التواصل تمكن الأفراد من تبادل المعلومات والتعبير عما يخالجهم من مشاعر مختلفة ومن خلال هذا يستطيع أن يثبت وجوده ضمن المجموعات، وهكذا تتداول المعارف بين الناس وشؤونهم وحاجياتهم وعاداتهم وغيرها. فما هي إلا نظير أفكارنا التي نستطيع بها فك رموز ووضع حدود و تسجيل تاريخ وتصليح عقول ومحاكاة واقع. لأنها مجموعة متجانسة من الرموز والأصوات والإشارات وهي ركن أساسي تقوم عليها ثقافة شعب. فالرواية كما عرّفها باختين هي «عمل فنيّ

¹ - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، د.ط، الكويت، 1998، ص120.

² - المرجع نفسه، ص 110.

متعدّد الأساليب يتنوع في أنماط الكلام، كما تتباين الأصوات فيها، يجد الباحث فيها على وحدات أسلوبية غير متجانسة عديدة، تتواجد في بعض الأحيان في مستويات لغوية مختلفة، و تسيطر عليها قوانين أسلوبية مختلفة»¹، وبن نبي عرض حكايته في نمط حكي الأحداث والحكي هو ما يحتوي على قصّة ما تضم أحداثا معينة طريقتها السرد إنّ كون الحكي هو بالضرورة قصّة محكية يفترض وجود شخص محكي و شخص يحكى له أي وجود تواصل بين طرف أول يدعى "راويًا" أو "ساردا" وطرف ثان يدعى "مروي له" أو "قارئ"، كما أن الكاتب جاء بأسلوب راقي وحضاري ثقافيا وبصيغ سردية في خطابه المباشر أحيانا «فالمسلم، إذا ما احتاج أن يتبيّن أمرا ما استخار فيه الله ليلهمه عن طريق رؤيا في الحلم»² وعن طريق الشخصيات أحيانا في أن تقول الشخصية فكرة أراد الكاتب قولها كما جاء في نقاش إبراهيم والأجنبي البحار عن الإسلام و هما يتبادلان الكلام قوله: "ليس محمد من منع الخمر والخنزير بل إن الله هو الذي قد حرّمهما على المسلمين"³ و قد لامسنا عند بن نبي أنّه لم يخالف معايير اللغة في كتابة نص سردي، فجاء بأسلوب لغوي روحاني ليس فيه تعقيد أو مبالغة أو محاولة فلغته بسيطة جميلة في تراكيبها مثل قوله: "في كل عام أيضا، يترك آلاف المؤمنين قطعانهم وحقولهم، ومتاجرهم أو خيامهم وينفصلون عن عائلاتهم للالتحاق بالرحلة المبرورة التي تقوم بها الأرواح المؤمنة"⁴ وفي موضع آخر: "انتابه إحساس بالاختناق جعله يعتدل جالسا متكئا على ذراعيه"⁵، طغت على هذه اللغة المعاني الدينية والحضارية والثقافية مثال في قوله: "فالحاج ليس ضيفاً عاديا، لذا يجب أن تحفظ أصول الضيافة معه"⁶ و "ينبغي الإحساس بالنداء الحقيقي للحج، النداء الذي لا يقاوم كي يلجّ بقوة لا تقهر إن في الشتاء وإن في الصيف"⁷ وفي تفسير إبراهيم للطفل هادي كيف أن

¹ - ينظر عيسى بلخباط، مذكرة تقنيات السرد في رواية "البيت الأندلسي" لواسيني الأعرج، ص 48.

.Thesis.univ-biskra.dz/Lettre-m9-2015 pdf

² - مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، ص 39.

³ - المرجع نفسه، ص 105.

⁴ - المرجع نفسه، ص 28.

⁵ - المرجع نفسه، ص 43.

⁶ - المرجع نفسه، ص 29.

⁷ - المرجع نفسه، ص 27.

مساحة البحر أكبر من مساحة اليابسة "لكن عدد الأسماك يفوق بكثير عدد البشر لهذا يجب أن تكون اليابسة أقل مساحة من الماء"¹. هذا ما هو ظاهر أما ما نلتمسه في اللغة النسقية الباطنية فهي توجيهية عميقة في نبرات كلماتها موحية تمثلت في العدل والجور للعم محمد الذي هو صديق لعائلة إبراهيم فكان نعم الجار وفي الحلم الذي رآه ذلك السكير "إبراهيم" وكان سبب في تغيير حياته، و لغة شاعرية نجدها في قوله: "وعلى غير عاداتها كانت هادئة بل مسرورة، دون ذلك التقطيب بين عينيها الذي يعترتها عندما تستعيد الشريط المؤلم لحياتها الزوجية"² كما نجد لغة أخلاقية مثل قوله: "أنت لا تستشعر ذكرى والديك اللذين كانا مؤمنين تقيين. كانا يريدان أن تكون شيئاً آخر غير الذي أنت عليه الآن."³ كما نلاحظ استخدام مالك بن نبي للّهجة العامية في ذلك الوقت وهي عبارة عن كلمات عمد إلى شرحها "زنبوط" وهي كلمة من أصل عثماني وهي تشير في الأصل إلى رتبة عسكرية أي أعزب⁴، "الميدة" وهي تلك الطاولة ذات الأرجل القصيرة⁵، "الشوقدوف": قارب يتحرك يتحرك على سطح الماء بفضل أشرعتته التي تدفعها الرياح⁶ وهذا من أجل أن يبين تنوع الثقافة في الجزائر من خلال اللغة التي سادت آنذاك.

لغة الحوار: اللغة هي الوسيلة لإدراك الشخص وتواصله ومعرفته للآخر عن طريق تشارك آراء بين المجموعات و التعبير بمختلف الطرق لتوضيح المعنى أو الكلام المباح، والحوار من ضمن هذه التعابير.

«الحوار هو اللغة المعترضة التي تقع وسطا بين المناجاة، واللغة السردية. ويجري الحوار بين شخصية وشخصية، أو بين شخصيات وشخصيات أخرى داخل العمل الروائي...»⁷.

¹ - مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 138.

² - المرجع نفسه، ص 47.

³ - المرجع نفسه، ص 34.

⁴ - المرجع نفسه، ص 46.

⁵ - المرجع نفسه، ص 69.

⁶ - المرجع نفسه، ص 140.

⁷ - د. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 134.

الحوار هو ذلك النمط التعبيري بين شخصين أو أكثر وهو فن من فنون المسرحية والقصة والرواية. وقد وُجد الحوار بكثرة مع الشخصية الرئيسية "إبراهيم" في هذه الرواية مع صديقه ومع العم محمد وزوجته وفي أثناء وجوده في المركب كان الحوار مع مجموعة من الحجاج والطفل هادي.

«و أيا كان الشأن، فإن لغة الحوار، في رأينا، ليس ينبغي لها أن تبتعد كثيرا عن لغة السرد، حتى لا يقع النشاز البشع في نسج مستويات اللّغة السردية، وحتى يظل الانسجام اللّغوي قائما بين الأشكال اللغوية الثلاثة، مع التزام الذكاء الاحترافي في تقديم الحوار بحيث يكون مقتضبا وقصيرا وقليلًا في هذا المستوى من البناء الروائي...»¹

ولغة الحوار في رواية "لبيك حج الفقراء" لم تطغى على السرد بتزفها إلى مستوى عالي عليه ولم تندني إلى مستوى الركاكة والسخافة فقد جعل بن نبي موضعها يخدم النص ولا يهدمه.

يعتبر الحوار «المركز الرئيسي والعماد والنافذة التي تبرز من خلالها شخصيات الرواية التي تشكل حالة الكلمة ووجع الحال»² كما جاء في الحوار «...حتى أنّ بحارًا كان يقف فوق السطح بجانب الضابط، خاطبه قائلاً:

- إن من القسوة صدّ هذا الرجل المسكين فقط لأنه لم يستوف جميع إجراءات الحج.

ردّ الضابط الذي كان ينظر إلى الرجل متأملًا قائلاً:

- أجل إنّه أمر قاس و لكن هذا هو الصراع الأزلي بين ما هو دنيوي و ما هو روعي»³. عبر الحوار الحوار بين الشخصيات يتمكن الراوي من كشف عدّة جوانب للشخصية من سلوك واتجاه وتفكير

¹ - عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص 135.

² - مجلة العرب اليوم، لغة الحوار في العمل الروائي بين الإشكالية والجمالية، شرين القطاونة، موقع أحوانة الجبل... إرادة للحياة وبناء للمستقبل.

³ - مالك بن نبي، لبك حج الفقراء، ص 90.

ووعي وأصغر مكنوناتها الباطنية والخارجية. فالحوار يكون خطاب الشخصية التي تعبّر بلغتها عن تفاعلها مع الأحداث.

ويكمن دوره ووظيفته في جذب القارئ وجعله أمام جو من المشاهد كأنها جزء من مسرحية نستمتع بها لكسر روتين السرد وهذا ما يجعل القارئ يتمتع بقراءته ويواصلها في نفس الوقت بدون ملل، طبعاً أن لا يكون الجزء الأكبر في النص وهو ما يمهد "على الكشف عن حضور البيئة في النص الروائي كاللغة والعادات والتقاليد ونحو ذلك...".¹ وبما أن الرواية هي تصوير لبعض جوانب الحياة التي نعيشها على أرض الواقع والتواصل بيننا عبر الكلام كذلك داخل الرواية الحوار يبيّن حالة الواقع الذي يعيشه البشر، كما جاءت حالة السكير في خطاب العم محمد لإبراهيم قائلاً: "ماذا يا إبراهيم؟ مرة أخرى ثملاً؟، ألا تفكر أنك في هذه الساعة المتأخرة تزعج جيرانك المساكين؟

- هل تدرك أنني اضطررت إلى قطع صلاتي حتى لا أدعك تصرخ طوال الليل تحت نافذتي؟...

- آسف عمي محمد، إنه مكتوب على الجبين، والله إنه مكتوب، آسف...²

كما أننا نجد الحوار يعبّر عن رأي الشخصية في هذا المشهد "كان الإمام الرقيب على الطعام، إذ أخذ ملعقته وتناول بها كل قطع اللحم ثم أصدر قراراً:

- ليس هذا لحم خنزير. وكرّر إبراهيم الكلام نفسه قائلاً:

- أنا متأكد من أن اللحم ليس لحم خنزير...³

الكاتب المبدع يجعل من الحوار تقنية وخلق حالة شاعرية تقوم على أساس إضافة لمسة مغايرة يسترد فيها القارئ أنفاسه من مداولة قراءته. فالحوار يصوّر ملامح الشخصية ويجعل من المواقف قوة إقناع وتبرير.

¹ - مجلة العرب اليوم، لغة الحوار في العمل الروائي بين الإشكالية والجمالية، شرين القطاونة، موقع أحيوانة الجبل... إرادة للحياة وبناء للمستقبل.

² - مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 33.

³ - المرجع نفسه، ص 103.

البناء السردى لا يكون في أتقن صياغة إلاّ عبر وجود عناصر أخرى تكسبه تلك الرفاهية السردية والجمال النقى الروائي والمبنى الحكائي و القوة الروائية. فنجد عنصرين يُكمل أحدهما الآخر وهما:

المستوى السردى ولغة النسيج السردى:

«كان بشر بن المعتمر، حسب ما يذكر الجاحظ، سبق إلى تأسيس النظر في هذه المسألة فاقترح أن يكون مستوى لغة المتكلم، أو الكاتب، على قدر المخاطب و مستوى ثقافته...»¹ وقد عرف بن نبي كيف يتعامل مع المعاني ليوصل فكرته إلى قارئه إذ أنه مفكر حضاري فكانت تقنيته حضارية جعلت المتلقي يراعي بثّ لغته الروائية. «لكننا نريد إلى أن الكاتب الكبير، لممارسته الطويلة للغة وتعامله معها، يستأنس بها وتستأنس به؛ فيجد كل منهما شيئاً من الرغبة في الانزياح (L'écart) عن المعنى الأول، إلى معنى ثانٍ، فتتسع الدلالة وتغنى؛ بفضل استخدام عناصر من التبليغ معينة مثل الرمز، والاستعارة، والمماثل (Icône) وسواها...»² وفي تعامل بن نبي مع لغته قد وظف واستخدم عناصر التبليغ تُمثل بذلك بما جاء في قوله: "و كأن إبراهيم ، وهو واقف في وسط الغرفة بقميصه المدبوغ مع يديه بغبار الفحم، يجسد الروح السوداء لهذا المكان المعتمّ"³.

و بما أن مالك بن نبي مفكر حضاري فقد أعطى لغته سمة حضارية متطورة تساهم في تثقيف الجانب الآخر بمجموعة من المعارف في اتجاه واحد وهو تفاعل الآخر مع حالة وحدث الرواية فكان نظامه اللغوي مرتب متجانس حيث كل فكرة تكمل الأخرى، متحكم في نبضها.

حسب مفاهيم أغلب الأساتذة الجامعيين «أن لغة الكتابة ضربان اثنان:- كما سلفت الإشارة إلى بعض ذلك- ومن مرق عنهما مرق عن الجادة ، وحاد عن الطريق السوي: الضرب الأول سرد، ولغته فصحي؛ والضرب الآخر حوار، ولغته عامية. وكما أنه لا يجوز كتابة السرد بالعامية، فإنه لا يجوز كتابة الحوار بالفصحي. هذه هي المعادلة الفنية التي إن وفرت لنص من النصوص السردية اغتدى

¹ - د.عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 116.

² - المرجع نفسه، ص 123.

³ - مالك بن نبي، ليك حج الفقراء، ص 35.

مقبولا في الأذواق، و مرضيا عنه لدى النقاد¹، وقد جاءت اللّغة في نص "لبيك حج الفقراء" مفعمة بالفصحى الجميلة الراقية التي يستوعبها القارئ بأنواعه و طبقاته كما مزج اللّغة العامية ضمن الحوار بطريق معقولة لمزيد من المتعة وهكذا كان ذوق الكاتب متوازن.

«إن الكتابة السردية تشكيل لغوي قبل كل شيء. والشخصيات والأحداث والزمان والحيز هي بنات للغة التي بتشكيلها، ولعبها توهمنا بوجود عالم حقيقي يتصارع فيه أشخاصا (personne) تمثلهم شخصيات (personnages) ضمن أحداث "بيضاء"² وقد بنى بن نبي روايته على أحداث حقيقية مثلتها شخصيات ورقية لعبت دورها بشكل خيالي يجعل القارئ يعيش في عالم حقيقي حيث أنه يتعايش مع هذه الشخصيات وأحداثها.» وتتجسد وظيفة هذا الشكل اللّغوي في تقديم الشخصيات، ووصف المناظر، والأحياز والأهواء، والعواطف... فهو شكل مركزي، ولا يمكن الاستغناء عنه في أي عمل روائي³.

مالك بن نبي سيطر على لغته من خلال التلاعب بها، وأسلوب نسج كلماتها ومعانيها لم يبسطها لدرجة التدني من المستوى ولم تكن عالية تتشبه كتابات الجاهلية، بل كتبها بطريقة سليمة وخيال ليس بالمعقد أقرب إلى الواقع فجاءت أنيقة مفهومة رغم المعاني الباطنية.

لغة الوصف : يعتمد السرد على الوصف ويستند عليه في تشكيله، فالوصف يعتبر في كل الأجناس الأدبية لا سيما الحكاية والقصة والملحمة والرواية عنصرا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه إذ نجده يحتل فيها حُظوة كريمة، فقد عرفه ابن رشيق القيرواني بقوله: " والوصف جزء طبيعي من منطق الإنسان؛ لأن النفس محتاجة من أصل الفطرة إلى ما يكشف لها من الموجودات وما يكشف

¹ - د.عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 127.

² - المرجع نفسه، ص 128.

³ - المرجع نفسه، ص 134.

للموجودات منها، ولا يكون ذلك إلاّ بتمثل الحقيقة وتأديتها إلى التصور في طريق من طريق السمع والبصر والفؤاد".¹

لقد ظهر الوصف في رواية "لبيك حج الفقراء" في وصف مالك بن نبي للزمان الذي يصادف موسم الحج في شهر ابريل وفي وصفه لمظهر الشخصيات الخارجي في قوله: "اهتز الحجاج الذين كانوا فوق السطح للمشهد، وقد أصيبوا بذهول لمنظر الرجل الذي وصلت كلماته المؤلمة إلى عنان السماء. لم يكن يبكي كان يشبه بدو الجنوب، أسمر البشرة، ممشوق القوام ومفتول العضلات، يحيط بوجهه الجميل و الممتلئ رجولة لحية سوداء. كان حافي القدمين إبهامه مبتعد عن أصابعه الأخرى، كما هو حال جميع مشاة الصحراء. كانت بيده عصا الراعي، ارتسمت على وجهه صور القوة والرقّة والتعب واليأس..."² "كان شيخاً حليق الرأس تماما، مرتدياً قطعة قماش بيضاء معقودة عند حزامه وأخرى موضوعة فوق أحد كتفيه، كان يبدو أنه خرج للتو من غرفة الحمام الساخنة."³ وفي وصفه للمشاهد والمناظر في قوله: "وإبراهيم متكئ على المترسنة يستنشق نسيم البحر المحمل برائحة اليود ويتأمل بإعجاب الموج وهو يصطدم بجنابت السفينة"⁴ و"كان المركب قد أشعل جميع أضواءه، وهو يبحر على صفحات بحر شديد السواد"⁵ ونلمس كذلك وصف مالك بن نبي لأصناف الحجيج: "أهل (جاوة) الصالحين، عن (أهل بخارى الكرام)، عن (العرب الفصحاء) وعن (البدو

¹ - د. صالح جديد، الوصف في الرواية العربية الحديثة، رواية متاهة الأولياء لأدهم العبودي أممؤذجا، كلية الآداب و اللغات، جامعة الطارف، الجزائر، ص8.

² - مالك بن نبي، لبك حج الفقراء، ص 90.

³ - المرجع نفسه، ص 148.

⁴ - المرجع نفسه ص 92.

⁵ - المرجع نفسه، ص125.

الصاحبين)...¹ وفي قوله: "لقد وجد إبراهيم أن التونسيين أكثر روحانية وبشاشة. كان يفضلهم على أهل المغرب الذين وجدهم منطويين قليلاً و منزويين".²

2- الثقافة اللامادية (المعنوية):

تعني الثقافة غير المادية جملة من الأفكار التي تشكل ثقافة مجتمع ما، بما في ذلك المعتقدات والقيم والقواعد والأعراف والأخلاق. على سبيل المثال، فإن المفهوم الثقافي غير المادي المتمثل في الدين يتكون من مجموعة من الأفكار والمعتقدات عن الله، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات.³ وقد وردت في الرواية كآلاتي:

أ- العادات والتقاليد: تتميز العادة الشعبية بمجموعة من الخصائص وهي:⁴

أولاً: الصفة الاجتماعية: أي أن العادة الشعبية هي فعل يصدر عن تفاعل مجموعة من الأفراد، ولا تصدر من شخص واحد بذاته.

ثانياً: الصفة الوراثية: أي أن تكون العادة الاجتماعية متوارثة أو مستندة إلى تراث يدعمها.

ثالثاً: الصفة المعيارية: أي أن العادة تتسم بطابع معياري يفرض الامتثال الجماعي لها مثل القوانين والأعراف، وتوجه سلوك الأفراد وتمارس الضغط الجمعي على المخالفين لها من أفراد الجماعة.

رابعاً: صفة الارتباط بالزمان والمكان: أي أن العادة الشعبية ترتبط دوماً بالظروف التي يعيشها المجتمع الذي توجد فيه سواء من ناحية الزمان كفصول السنة والمواسم الزراعية والأعياد الدينية والوطنية، أو

¹ - المرجع نفسه، ص 91.

² - مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 88.

³ - مذكرة ماجستير في الترجمة "العناصر الثقافية في رواية la répudiation" لرسيدبوجدره - بين الترجمة والتلقي - لمحي الدين رزين.

⁴ - أحمد بن نعمان، هذي هي الثقافة، ص 83-84.

من ناحية المكان كالأراضي المقدسة وأضرحة الأولياء والقديسين التي تتطلب من الزائرين أو العابرين من قربها سلوكات معينة.¹

فقد رصدت الرواية بعض العادات التي كانت سائدة في المجتمع الجزائري البسيط ولا زالت موجودة إلى يومنا هذا في مناطق متفرقة من ربوع الوطن التي تكسوها بعض من الخرافات التي عمد الاستعمار وعملاؤه من تفشيها في المجتمع الجزائري المسلم، ومنها زيارة الأضرحة والتبرك بها "وكانت زهرة تنتقل إلى القبّة لكي تشعل شمعة هناك على أمل أن ينتهي سبب معاناتها وهو فسوق إبراهيم". فلسنوات عديدة، كانت مع (القزّانات) تجدد أملها². كما أشار مالك بن نبي إلى ما يسمى بالبوقالة وهي عادة يستعملها نسوة الجزائر في معرفة حظهن، "لقد أكدت البوقالة: ماء تحضره البنات في سن الزواج ويكشفن فيه أسرار قلوبهن ويضعنه قبالة النجوم قبل الذهاب إلى النوم"³ على أمل أن يستيقظن على فال خير يحمل لهن خبراً عن زواج قريب. إضافة إلى العادة التي ذكرها مالك بن نبي وهي مراسم استقبال وتوديع الحجاج، إذ على الحاج أن يُودع من طرف أحبائه بعد دعوتهم له لتناول الطعام تعبيراً عن تقديرهم واحترامهم له. "فكانت زوجة الشيخ في انتظارهما وقد عبقت الغرفة التي خصصت لاستضافة الحاج بالبخور"⁴.

نستنتج أن هناك علاقة ترابط بين اللغة و الثقافة فاستفادة الفرد عبر التواصل و¹تنشئته الاجتماعية يكتسب مع الوقت التطور الفكري الواعي و المنطقي الذي تتطلبه الثقافة واللغة.

¹ - من ضمن هذه العادات المتصلة بالمكان في المجتمع الجزائري أن هناك أماكن يتوجب على كل عابر منها أن يترحل من على مطبته... أو ينزع حذاءه و يسير حافياً وعلى النساء أن ينزعن حجابهن اعتقاداً بأن كل من يخرج عن هذه القواعد الصارمة يلحق به الضرر، إن آجلاً أو عاجلاً - فيه أو في ذريته.

² - مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، ص 47

³ - المرجع نفسه، ص 78.

⁴ - المرجع نفسه ، ص 68



— مالك بن نبي من المفكرين ذوي اتجاه حضاري من أصل جزائري وأسرة محافظة عايش فترة ما بعد الاستعمار وتأثر بظروف بلده التي مرت عليها، وتغلب على الصعوبات التي واجهته في شق طريقه نحو تحقيق حلمه والتي كان سببها الاستعمار وما انجر عنه من فقر ومعاناة في كل أسرة جزائرية حيث كافح منذ صغره إلى أن أصبح يشغل عدّة مناصب بعد رحلة طويلة من الاغتراب والتّرحال إلى أن استقال ليتفرّغ للتأليف والكتابة، حيث كانت تشغله المشكلات الحضارية والفكرية فوهب حياته لها في دراستها والدليل على ذلك نلاحظه في جميع كتبه الغزيرة التي تناولت فكره الحضاري، ومن أبرز من ترجموا له عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي ، توفي بن نبي عن عمر يناهز الثمانية والستين من عمره بسبب إصابته بسرطان الدماغ.

— ترك بن نبي أثرا بالغا ومكانة سامية عند الدارسين، فقد تعددت النظريات والآراء واختلفت في صورة إيجابية حيث جاءت الأقوال عنه بأنّه ذو فكر رجل خبير وداعيا مؤمنا جمع بين الفيلسوف المفكر ومنطقه والداعية المؤمن وقوة شعوره، أنّ طرحه للإسلام جاء كمرهم إمبراطورية حضارة جديدة أنّ أسلوبه حضاري في تفسير القرآن بمنطق وتحليل ونقد في مستوى عالي، نعته بسمو فكره وثقافته الواسعة وما جمع كل هذه الأقاويل أنّه مدرسة فكرية مستقلة في ذاتها.

— رواية "لبيك حج الفقراء" العمل الروائي الوحيد له جاءت تبرز أعزّ رحلة في قلوب المسلمين وهي رحلة الحج، التي ترجمة من الفرنسية إلى العربية بعد اكتشافها من طرف زيدان حوليف، هي رواية بحجم صغير ذو مغزى كبير وعبرة دينية واعية، عبّر عن ذلك بشخصيتين مميّزتين والتي دارت حولهما الأحداث، وكان عنوانها ذو لمحة عميقة لما جاء في متن النص السردي ومفتاحا من الذهب لألفاظه المكتّفة المعاني الدينية وما زاد ذلك جمالا وروحانية صورة الغلاف التي صوّرت الرواية في مشهد واحد موحى بألوانه.

— فنستطيع أن نقول أنّ مالك بن نبي أكّد على عنصر أساسي في حياة المسلمين من خلال روايته هذه وهو الإسلام وأصرّ إلى العودة إليه حيث يراه هو الأنسب للخروج من أزمة تخلف العالم

الإسلامي وذلك بدءا بالتغيير الداخلي للمسلمين لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ).

— استطاع بن نبي أن يمزج عنصر تاريخي في سرده لمجتمعه التحليلي من خلال الشخصيات والأحداث وجوانبها الايجابية والسلبية.

فمن خلال شخصيته الرئيسية "إبراهيم" التي كانت مركز الأحداث المتأثرة بعقلية الاستعمار وكانت تحت رحمة سيطرته رغم التحرر منه بيّن كيف لهذه الشخصية المثيرة أن تغيّر منحى حياتها من عبودية إلى مستقلة بدينها وعبرها صوّرت وظهرت حياة لبعض الأشخاص المحيطين بها من زوجته التي عانت من سوء سلوكه وكانت رمز لوضعية المرأة الجزائرية التي تشترك مع زوجها في الحلوة والمرّة، جاره الحاج العم محمد وصديق عائلته الذي لم يتخل عنه وكان رمزا للأصالة المتجدّرة للأمة، وزوجة هذا الحاج التي كانت حنونة وتكن له مشاعر أمومة، والطفل هادي ذلك الفتى المشاغب اليتيم المسكين رمز الأطفال المحرومين اللذان تصادقا مع بعض فترة السفر وأصبحا بمثابة الأب وابنه بعد الحج.

— أما الأحداث اجتماعيا فقد كانت روحانية لمجتمع عربي إسلامي تصادف موسم الحج فيه مع شهر ربيعي أنعش نسيمه روح ذلك السكير إبراهيم، وكان وصف انطلاق الحجّيج من مدينة عنّابة ساحر من طرف الكاتب وهم يركبون وسيلة نقلهم إلى جدّة حيث إقامة مناسك الحجّ وتقديم عائلات المدينة مؤونة السفر لهم، وكل هذا عبر شخصيته الرئيسية التي كانت صائغة للحدث وخاصة أثناء الرحلة على متن المركب تقارب وتعاطف الحجّاج معه، فجمعت هذه الأحداث زمن واحد وهو زمن الهجرة لحجّ بيت الله الحرام وبنداء يتداول منذ زمن بعيد لأداء هذه الشعيرة، وهكذا تبيّن زمن ومكان الرواية عبر الأحداث.

— فمن خلال ذلك تبيّن أيضا جوانب لامسناها في شخصيات الرواية من فقر وحرمان الذي وجدناه في الطفل هادي، الطلاق والجهل والأميّة من طرف شخصية زهرة زوجة إبراهيم أما الضلال في

شخصية هذا الأخير لما كان عليه من سكر وعريضة، والبطالة التي جمعت بينه وبين هادي، كما وجد التعاون لدى العم محمد والكرم والسخاء الذي اتسمت به زوجته والتعاقد في فوج الحجّيج.

_ الجانب الآخر للرواية هو مجال التثقيف برزت في مظاهر الشخصيات، والثقافة أكثر شيء حضي باهتمام بن نبي فرّكز عليه في روايته هذه وظهر ذلك في كل من المظاهر الثقافية المادية التي وجدناها في مظهر اللغة واللباس والطعام، أما المظاهر الثقافية اللامادية تلخّصت في العادات والتقاليد.

_ الهدف لمالك بن نبي عند كتابته لرواية "البيك حج الفقراء" واضح في توجيهه رسالة حضارية ثقافية فكرية وهو الحل للأمة العربية الإسلامية الضائعة أن تعود إلى منبع أصالتها الإسلام ودينها وعقيدتها فهو حلمه الذي يريد أن يتحقق لها بعد عبودية الاستعمار.

قائمة المصادر

والمراجع

* القرآن الكريم (رواية ورش) .

- 1- د. أحمد بن نعمان، هذي هي الثقافة، دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى الجزائر، د.ت.
- 2- د. أحمد مختار عمر، اللّغة واللّون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة مصر، 1997.
- 3- د. أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربية المعاصر، عالم الكتب، الطبعة الأولى، القاهرة 1469هـ/2008م، المجلد الثالث.
- 4- أسعد السحمراني، مالك بن نبي "مفكرا إصلاحيا"، دار النفائس، الطبعة الأولى والطبعة الثانية، بيروت، 1404هـ/1984.
- 5- آمنة تشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد تومبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، د. طبعة الجزائر، 1989.
- 6- بن براهيم الطيب، مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة، دار مدني، د. طبعة، د. بلد 2002.
- 7- د. بشير بويجرة محمد، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري، دار الغرب للنشر والتوزيع د. طبعة د. بلد، 2002/2001، الجزء الأول.
- 8- الجوهري، الصّحاح في اللّغة والعلوم، دار الحضارة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 1974م.
- 9- حسين قبّاني، فن كتابة القصة، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، د. بلد 1976م.
- 10- بن حماد الجوهري ، الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، تحقيق د. إميل بديع يعقوب ود. محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان، 1420هـ-1999م.

- 11- حميد المداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، بيروت، 2000م.
- 12- د. عبد الرحمان التواني، السرد والأنساق الثقافية في الكتابة الروائية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، د. بلد، 1437هـ/2016م.
- 13- زكي ميلاد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، دار الصفوة، الطبعة الأولى، بيروت 1993م.
- 14- شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ترجمة عيسى عصفور، منشورات عويدات الطبعة الأولى، بيروت-لبنان، 1982.
- 15- السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، 1421هـ/2000م.
- 16- صبحي حموي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، الطبعة الأولى، بيروت 2000م.
- 17- صبحي حموي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، الطبعة الثانية، بيروت 2001م.
- 18- الطاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، دار الهادي، الطبعة الأولى بيروت، 2006م.
- 19- علي محمود جعفر، الأحداث المنحرفون: عوامل الانحراف، المسؤولية الجزائرية، التدابير، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د. طبعة، بيروت، 1984م.
- 20- عمر كامل مستقاوي، نظرات في الفكر الإسلامي، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق 1979م.
- 21- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت 1998م.
- 22- عبد الله بن حمد العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان، 2012م.
- 23- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، د. طبعة، دمشق 1986.

- 24- مالك بن نبي، في مهب المعركة، دار الفكر، الطبعة الثالثة، دمشق، 2002م.
- 25- مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، ترجمة زيدان خوليف، دار الفكر، الطبعة الأولى دمشق، 2009م.
- 26- مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، دار الوعي، الطبعة الأولى، الجزائر 1434هـ/2013م.
- 27- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر بدمشق، د. طبعة، طرابلس-لبنان، 1399هـ 1979م.
- 28- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، الطبعة الأولى دمشق، 2002م.
- 29- د. عبد الملك مرتاض، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، دار الأنوار للطباعة الطبعة الأولى، دمشق، 1981م.
- 30- د. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، د. طبعة الكويت، 1998م.
- 31- محمد سعيد فرج، مصطفى خلف عبد الجواد، علم اجتماع الأدب، دار المسيرة للنشر والتوزيع، د. طبعة، بيروت، 2008م.
- 32- محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى د. بلد، 1967م.
- 33- د. محمود عودة، أسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية، د. طبعة، د. بلد، 1995م.
- 34- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، الطبعة الأولى، الطبعة الثانية، بيروت، 1410هـ 1990م-1412هـ/1992م، المجلد السابع.
- 35- نورة خالد السعد، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، دار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، د. بلد، 1997م.

36- نيومارك بيتر، الجامع في الترجمة، ترجمة حسن غزالة، منشورات دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان، 2006م.

الجزائر والمجلات:

1- جريدة البلاد، الكاتب د. منصور الحسيني. العدد 22430، الموقع archive-albiladdaily.com.

2- جريدة النصر العدد 13725 من كراس الثقافة الصادر بتاريخ 20 مارس 2012.

3- مجلة البيان الكويتية، العدد 566، سبتمبر 2017.

4- مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد 25، السنة الرابعة-ربيع 2014، فصيلة علمية متخصصة.

5- مجلة الجزائر اليوم، رؤيتي للإسلام، العدد (58) الإسلامية وفكر مالك بن نبي.

6- مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 9 (1974).

7- مجلة جوهر الإسلام (تونس)، العدد 3 (أكتوبر/نوفمبر 1970).

8- مجلة العرب اليوم، لغة الحوار في العمل الروائي بين الإشكالية والجمالية، شربن القطاونة موقع أفحوانة الجبل... إرادة حياة وبناء للمستقبل.

9- مجلة الممارسات اللغوية، قراءة في التجربة الروائية عند المفكر الجزائري مالك بن نبي تيزي وزو الجزائر، العدد 24، 2014.

10-Arab.encyclopedia.com - الموسوعة العربية.

المذكرات:

1- رسالة ماجستير في الثقافة الإسلامية "مفهوم الثقافة في الفكر العربي الغربي"، كلية الشريعة قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، شبكة الألوكة.

2- مذكرة ماجستير تقنيات السرد في رواية "البيت الأندلسي" لواسيني الأعرج، إعداد الطالب عيسى بلخباط.

3- مذكرة ماستر في أدب عربي حديث ، "الأبعاد السياسية والاجتماعية في الرواية العربية-موسم الهجرة إلى الشمال- للطيب صالح أنموذجا" لنجوى طراد وشهرة بوبقيرة.

4- مذكرة ماجستير في الترجمة "العناصر الثقافية في رواية " la Répudiation " لرشيد بوجدره.

5- مفهوم السياسة والأخلاقيات السياسية عند المفكر مالك بن نبي (دراسة حالة الجزائر) لنعيمة بغداد باي.

6- الوصف في الرواية العربية الحديثة _ رواية متاهة الأولياء لأدهم العبودي أنموذجا، د. صالح جديد كلية الآداب واللغات، جامعة الطارف، الجزائر.

المواقع الإلكترونية:

www.ennaharonline.com

<https://m.marefa.org>

<https://www.arabacademy.gov>

lahodod.blogspot.com

لبيك حج الفقراء... باكورة أعمال مالك بن نبي زاد مساره الفكري، عائشة نجار.

فهرس الموضوعات

	إهداء
	شكر وعرافان
أ-ج	مقدمة
الفصل الأول: مالك بن نبى وروايته "لبىك حج الفقراء	
2	المبىحث الأول: ترجمة لحياة مالك بن نبى
14	المبىحث الثانى: تقديم عام لرواية "لبىك حج الفقراء
الفصل الثانى: الأبعاد الاجتماعية فى الرواية	
22	المبىحث الأول: الأبعاد الاجتماعية للشخصيات
28	المبىحث الثانى: الأبعاد الاجتماعية للأحداث (الزمكانية)
31	المبىحث الثالث: الجوانب الاجتماعية فى الرواية
الفصل الثالث: المظاهر الثقافية فى الرواية	
37	المبىحث الأول: مفهوم المظهر الثقافى
41	المبىحث الثانى: المظاهر الثقافية المادية و اللامادية فى الرواية
55	خاتمة
59	قائمة المصادر والمراجع

الملخص :

مالك بن نبي نموذج نادر من القضية الوطنية الجزائرية الأصيلة الشغوف بتحقيق التغيير الفكري والثقافي والحضاري، وروايته "لبيك حج الفقراء" رواية جزائرية كُتبت باللغة الفرنسية وترجمت إلى العربية على يد الدكتور زيدان خوليف سنة 2009م، جاءت في محاولة تفكيك وهدم سلطة الآخر الثقافية وبعث قيم الهوية الإسلامية المتجددة في تراث الحضارة الإسلامية والمنفتحة على الآخر موجهة إلى تلك الفئة التي تشكك في قدرة الإسلام على إصلاح النفس.

الكلمات المفتاحية: رواية ، مالك بن نبي، ثقافة، حضارة، الإسلام، التغيير.

Résumé :

Malik Ben-Nabi est un modèle sans égal de la cause nationale algérienne. Il a en un terrible appétit pour la réalisation d'un changement à la fois culturel, intellectuel et civilisationnel. Son roman "Labeik, Hajj El- Fokaraa " effectué en Français et traduit en Arabe par le docteur Zidane Kholif en 2009. Ce fut une tentative pour déconstruire et détruire le pouvoir culturel de l'Autre tout en ressuscitant les valeurs de l'identité musulmane enracinées dans le patrimoine de la Civilisation Musulmane . Tout ça pour barrer le chemin devant ceux qui disent que l'Islam est incapable de soigner l'esprit humain.

Les mots- clés : roman, Malik Ben- Nabbi, culture, civilisation, Islam et le changement.

Abstract :

Malek Ben- Nabi is a great model of the Algerian National Question. He wanted to realize a cultural and intellectual change. His novel "Labeik, Hajj- Fokaraa" was entirely written in French and translated into Arabic by doctor Zidane Kholif in 2009. It was an attempt to destroy the cultural power of the Other and to promote the Islamic values in order to face those who see that Islam is incapable to educate the human spirit.

Key words : novel, Malik ben nabi, culture, civilization, Islam, change.